محمد سعيد الماحي

إعداد

حـــــــازم عفيفي

مؤسسة دار الفرسان

للنشر والتوزيع

51 ش إبراهيم خليل – المطرية

اسم الكتاب : محمد سعيد الماحي

(أبطال حرب أكتوبر)

المؤلـــف : حـازم عـفـيـفـي

الناشـــــر : مؤسسة دار الفرسان

تصميم الغلاف: فرى برنت-

رقم الإيداع : 11275/ 2016

طبعة ثانية : 2016

فهرسة أثناء النشر

حــازم عـفـيـفـي

محمد سعيد الماحي / حــازم عـفـيـفـي .– ط1 .– القاهرة :

مؤسسة دار الفرسان للنشر والتوزيع ، 2016 م .

80ص ؛ 24 سم .– (أبطال حرب أكتوبر)

تدمك : 977-6169-62-7

1 – الرجال – تراجم

أ. العنوان 923

آية قرآنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾

﴿الأحزاب : 23 ﴾

صَدَقَ اللهُ الْعَظِيمُ

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إ ن ماضي الأمم والمجتمعات لا يحسب بسنوات بقائها أو أعمار شعوبها ، وإنما يحسب من رصيد حضارتها ، وميراثها من أفذاذ الرجال الذين يصنعون بأعمالهم الجليلة ماضيها ، ويرفعون مشاعل نهضتها فتضئ الطريق لحاضرها ومستقبلها ، فمن ليس له ماضي لن يكون له حاضر أو مستقبل .. فتاريخ أبطالنا الذين صنعوا للأمة أمجادها أحق أن يدرس ، وأجدر أن يُعرف فنستلهم ما فيه من عِبر ، ونتبين ما فيه من أحداث .. فمن حقِ هؤلاء الأبطال العظماء علينا أن نذكر جليل أعمالهم ونتلمس بديع مواهبهم وفضائل أعمالهم ..

وحقّ وطننا علينا أن نقتبس من ضيائهم ونستلهم عِبَرَ تاريخهم .. لاسيما في هذا العصر الذي يمور بأمواجٍ متلاطمة من الأحداث متسارعة الإيقاع ، فالعالم من حولنا يسير خطوات واسعة

وإن لم نلاحقه ونتابع خطوه وطأتنا أقدامه .. فسيرة العظماء للأمم بمثابة القلب النابض ، فإن نُسِيَتْ أعمالهم وطُمِسَتْ سيرتهم صار تاريخها كالقليب[1] الناضب .. واليوم نحن في حاجة ماسة كي نكشف اللثام عن ذكرى مجدٍ تليد أُلقيتْ أستارٌ من النسيان على عظماء الأمة الذين صنعوا حضارتها ، فتاه خطاهم وانطمستْ سيرتهم ففقدنا قدوتهم .. في وقتٍ تحترم كل الأمم تاريخها وترفع قدر رجالها ، فكيف بنا ونحن بلد الحضارةوأرباب المجد وعناصر الرفعة ؟!

ونحن هنا في معرض حديثنا عن أبطال أكتوبر ، تلك الحرب المجيدة التي لو اختصرنا تاريخنا في أحداثها لما أعجزنا حصره ولما أغفلناه ، ولا أبالغ إن قلتَ أنه عمل يعدل في عظمته قيمة الزمان .. فحرب أكتوبر نقطةٌ مضيئةٌ في ذاكرة مصر والأمة العربية ..

وستظل محفورة بحروفٍ من نورٍ في ذاكرة التاريخ فهي بستانٌ زاهر ، وروضٌ ناضر ، وسماء رحيبة تتلألأ بالشموس المضيئة ، والأقمار المنيرة ، والنجوم الزاهرة ..

[1] القليب : البئر الجاف

ولا عجب فإنه الجندي المصري خيرأجناد الأرض كما أخبر الرسول الكريم ، ومثار إعجاب قادة العالم الذين تزدحم كتب التاريخ بأعمالهم .. يقفون مشدوهين أمام بطولاتهم ..

فهذا "نابليون بونابرت" يقول : " لو كان عندي نصف جيش مصر لغزوت العالم " ، وقال البارون "بول كونت" بعد أن أذهلته معارك الجيش المصري في سوريا عام 1832م : " المصريون هم خير ما رأيت من الجنود " .. ثم جاءت حرب أكتوبر 73 لتصل به إلى ذروة المجد والارتقاء

وتشهد على بطولات أبناء مصر الكرام ، فقالت "التايمز" : " لقد برهن المصريون على مقدرة جنودهم على القتال ، وقدرة ضباطهم على القيادة ، واستخدام أحدث أنواع السلاح .. "

إنهم أبطالُ مصر خيرُ شاهدٍ على عظمتها ، والمثلُ الحيُّ على رقي حضارتها ، والنبراس الذي يضئ لنا حاضرنا ومستقبلنا ..

المؤلف

رجل مهيب كمد فعيته :

وقف الرئيس الراحل محمد أنور السادات مفاخرا بأبنائه من رجال سلاح المدفعية البواسل ودورهم الحاسم في حرب أكتوبر 1973م المجيدة ، وقال : " لقد أدَّت المدفعية المصرية دورها في حرب العاشر من رمضان كما أدَّته في جميع المعارك التي خاضتها في ماضيها وحاضرها على أكمل ما يكون الأداء ، وكما سوف تؤدِّيه في مستقبلها . إن المهام التي حققتها المدفعية المصرية خلال مراحل المعركة المختلفة منذ عام 1967م ، وفي مرحلة الصمود والردع والاستنزاف ، وفي 1973م باقتحام القناة ، والاستيلاء على رؤوس الكباري ، كانت مهام خطيرة وبدأت المعركة بتمهيدها النيراني ، وفرضت إرادتها كاملة على أرض القتال ، ومكّنت مشاتنا ومدرعاتنا من تحقيق أهدافها .

وكان للمدفعية اليد الطولى ولا تزال في ردع العدو في أعماقه . لقد تدافع رجال المدفعية لتأدية واجبهم ، واستشهد منهم من استشهد وهو يقاتل على مدفعه لم يتركه قط حتى ذاق الممات . يحدوهم في ذلك تقاليدهم وأصالتهم . إننا نحيِّهم رجالاً آمنوا بوطنهم وثورتهم وبحقهم في حياة حرة كريمة " .

أنهم رجال المدفعية اليد الطولى للجيش المصري على مدار صراعه الطويل مع العدو الصهيوني



الفريق / محمد سعيد الماحي

والذي يعد من أعرق مدارس وأسلحة المدفعية في إفريقيا وآسيا والشرق الأوسط [1] .

ويأتي على رأس هذا السلاح وفي مقدمته قائده المحنَّك والبطل الفذ الذي كم فاخر به الرئيس الراحل السادات ووصفه في مذاكراته : " إنه رجل رهيب كمدفعيته .. كان يمتاز بالهدوء والدقة الشديدة " .

إنه محمد سعيد الماحي قائد سلاح المدفعية في حرب الاستنزاف وحرب أكتوبر 1973م ، الذي أعدَّ ونفَّذ أكبر تمهيد نيراني في تاريخ الحروب ..

(ا) يرجع الفضل في ظهور سلاح المدفعية المصري في العصر الحديث إلى محمد علي باشا ، والمدفعية المصرية حاليا تعد هي الأكبر والأكثر تنوعا وقوة في الشرق الأوسط وإفريقيا ، ويرجع ابتكار البارود واستخدامه إلى المماليك حيث استخدموها في معركة المنصورة (648 هـ / 1250م) حيث فوجئ الصليبيون بهذا السلاح الرهيب ، وقد استخدمه المماليك وقد عرف بالمكحلة وهو موجود بالمتحف الحربي بالقلعة ، وكانوا يستخدموه كسلاح سريٍ لا يُستخدم إلا في حالة الضرورة القصوى ، وكانت هذه المكاحل تجري على عَجَلٍ وقد قام السلطان الغوري بنفسه في عام (913 هـ / 1507م) كما كان يركِّب على السفن وتجري تجربته في النيل عند طرة ، وكان المماليك يستخدموه في تحصين القلاع والأبراج في القلعة ورشيد وجدة والعقبة ، كما سلَّحت قلاع الإسكندرية بمائتي مكحلة (انظر بدائع الزهور لابن إياس ، والفن الحربي للجيش ا لمصري في العهد المملوكي للعميد أ . ح . محمود نديم فهمي) ، وقد فصَّل نجم الدين الرمَّاح في كتابه الفروسية تكوين مادة البارود الذي كان يصنع من الملح ومسحوق الكبريت ورماد الفحم والبرادة والنشادر والزرنيخ الأحمر والتيلة الزرقاء ويشعل بالنار فتنفجر ، وقد استخدمه العثمانيون في حصارهم للقسطنطينية مدفعا عملاقا يزن مئات الأطنان (انظر الفتوحات الإسلامية عبر العصور) .

المولد والنشأة :

ولد محمد سعيد الماحي في دمياط في أول فبراير عام 1922م ، وأتمَّ دراسته بتفوُّق والتحق بالكلية الحربية ليتخرج فيها عام 1942م ، ثمَّ أتم دراسته بكلية أركان الحرب ليتخرَّج فيها عام 1951م ، وشارك في حرب الاستنزاف ، وشارك في حرب 67 فلم تنل الهزيمة من نفسه ولم تهزم تلك النكبة صلابته ولم تطفئ عزيمته الوقادة ، فشمَّر عن ساعده هو وأبطال مصر الأفذاذ ليعيدوا بناء جيش مصر في تلك المرحلة الفارقة من تاريخه والتي عرفت بحرب الاستنزاف [1] ولم يكن وقتها محمد سعيد الماحي يشغل منصب قائد المدفعية وإنما شغل هذا المنصب في حرب أكتوبر 73 .. لقد كانت مهمة البناء بعد حرب يونيو 67 مهمة شاقة بل ومضنية ، فوحدات المدفعية معظمها عاد من سيناء لائذًا بنفسه مخلِّفًا وراءه سلاحه ، ومعنويات رجال القوات المسلحة من ضباط وجنود منخفضة للغاية ..

[1] بدأت حرب الأستنزاف فى 1970/3/8م الى أن أعلن وقف اطلاق النار فى 1970/8/8م.

فإعادة البناء تحتاج إلى جهودٍ جبارةٍ يقوم بها رجالٌ آمنوا بالله تعالى وبتحرير تراب وطنهم العزيز ، وبدأت القيادة العامة للقوات المسلحة بأجهزتها المختلفة تعمل وتضع الخطط العامة وتقوم بتجربتها وتنفيذها .. ومن بين تلك الأجهزة إدارة سلاح المدفعية ، وكان على رأسها رجل عظيم هو اللواء عبد التواب هديب الذي بذل جهداَ خارقاً في بناء سلاح المدفعية

يعاونه رجاله المخلصين أمثال محمد سعيد الماحي ..

جهود سلاح المدفعية فيما بين النكسة والانتصار :

لقد قامت القوات المسلحة باختيار ضباط أكفاء أمناء أوفياء وعينتهم في المناصب القيادية للوحدات والتشكيلات ، وبدأ هؤلاء أولى خطوات البناء ألا وهو التدريب ، وكان التدريب شاقاً عنيفاً يواصلون فيه الليل بالنهار ويواصلون النهار بالليل ..

قاموا خلال مراحل التدريب بشحن الإيمان في نفوسهم ، وعملوا على تقوية الروح المعنوية وذلك لمسح آثار الهزيمة من نفوس رجال القوات المسلحة ، وكسر حاجز الخوف أمامهم .

وبدأ رجال المدفعية يعملون بصبرٍ وعزمٍ وقوةٍ لا تعرف اليأس أو الفتور .. وكان على المدفعية كسلاح حيوي أن يسبق الأسلحة الأخرى في توقيتات الاستعداد ؛ إذ أنها كانت تمثل الذراع الطولى التي يمكن استخدامها في مرحلة الصمود والتي يجب أن تبدأ في مواجهة العدو الاسرائيلي على طول الجبهة في أسرع وقت ممكن .

مرحلة الصمود :

بدأت تدريبات جادة مركزة تقوم على تصميم وعزم ومثابرة على العمل وذلك في ظروف صعبة من نقص المؤن ، والمياه ، وتحريك القوات بصورة مستمرة لتحقق المفاجئة ، ودراسة سليمة وافية لجميع توقعات العدو المحتملة ، وظهرت ثغرات كثيرة ونقاط ضعف عديدة أخذنا في علاجها بعلمٍ ودراية ، وبدأ الصدأ الذي ران على النفوس والعقول طويلاً يزول تدريجيا ..

وبدأ العقل المصري يبتكر ويبدع ، وأخذ الجنود والصف والضباط يتقدمون بآراء ومبتكرات تسهِّل أعمالهم وتوفِّر الوقت والجهد ، وتوفيراً للذخيرة أنشأ سلاح المدفعية ميادين مصغرة فيها ما في ميادين المعركة يتم التدريب فيها إلى أن نتأكد من أن الضباط والجنود قد أتقنوا العمل فينتقل بهم إلى مرحلة أخرى جديدة وهي التدريب في ميادين حقيقية وبالذخيرة الحية ، وكان الهدف من ذلك وضع جدول زمني متسلسل لبعض المهام ، وبدأت الأرقام والمعدلات الزمنية تتكسر تحت أقدام القادة والضباط المصريين ..

وبدأت مرحلة جديدة من التدريب يسميها العسكريون التدريب المشترك حيث يجري فيها خلق التزاوج بين الأسلحة المختلفة وتجري مشروعات تشترك فيها عناصر مختلفة من الأسلحة كالمشاة والمدرعات والمدفعية .. يتم فيها تنفيذ صورة كاملة متكاملة لمعركة الأسلحة المشتركة ..

وكانت قيادتنا تعلم جيدا أن العدو الإسرائيلي يعتمد في نظريته العسكرية على القوات الجوية والمدرعات لذا كان لزاما على رجال المدفعية أن يتعلموا كيف يدمرون الدبابات الإسرائيلية وكيف يعملون تحت ظروف القصف الجوي المركز ، ومن ثَمَّ نهتم بأسلحة المدفعية المضادة للدبابات من أنواع المدافع العادية إلى الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات ، وبلغ مستوى التدريب بالفرد إلى أن يصيب الدبابة المتحركة بسرعة تصل إلى 30 كم / س من أول طلقة وعلى مسافات كبيرة

وكان أسلوبنا في التدريب والاستعداد هو رفع كفاءة المسددين وعمال التوجيه بأسلوب التشجيع فالحوافز والترقية من نصيب الأكفاء والأجازات لا ينالها إلا من ينجح في اختبارات خاصة دقيقة ، وخصص كل قائد كراسة صغيرة لكل رامٍ تسمى "كراسة الرامي" تسجل فيها نتائجه اليومية بحيث يمكن للقائد كل لحظة معرفة مستوى الفرد في الرماية ..

وعرفت هذه المرحلة بمرحلة الصمود ، وبدأت بعد النكسة مباشرة واستمرت حتى أغسطس 1968م (يونيو 1967م . أغسطس 1968م) حيث كانت الاستراتيجية الحربية المصرية فيها تتركز فيما يلي :

1 . الالتزام بالهدوء وعدم جر العدو إلى معارك لإتاحة الفرصة أمامنا للتفرغ لمرحلة البناء .

2 . تجهيز الدفاع على جبهة القناة والوصول به إلى الدرجة التي تمكّنه من منع العدو من القيام بعمليات هجومية ناجحة قد يقوم بها لفرض إرادته على مصر .

3 . إن الالتزام بالهدوء لا يعني عدم الرد على أعمال العدو الاستفزازية بل من الممكن الرد عليه بحذر وحكمة مع تكبيده خسائر كبيرة في المعدات والأرواح حتى يعلم أنه أمام جبهة لا زالت قادرة على القتال رغم الضربة التي تلقتها .

لقد لعبت المدفعية المصرية الدور الرئيس في مرحلة الصمود لأنها كانت هي السلاح الوحيد الفعال في ذلك الوقت ، إذ كانت المدفعية تقوم وحدها بالرد على أعمال العدو بقصفات نيرانية مؤثرة على قواته ، وقد أبدع رجال المدفعية واكتسبوا خبرة كبيرة في تعاملهم مع قوات العدو خلال هذه الفترة فقد استغلت قوات المدفعية هذه الفترة للتدريب أثناء عملية التراشقات ، فكنت ترى قائداً خلال التراشق وقد تواجد في مركز ملاحظة مدفعيته قائم بالاشتباكات وقد أمسك بساعة زمنية يقيِّم بها ضابط مركز الملاحظة ويعلن له في النهاية الدرجة التي يحصل عليها ، وقد شهدت هذه المرحلة بعض الملامح البطولية التي أظهرت المعدن الحقيقي للمقاتل المصري ، فقد شهدت هذه المرحلة معركة رأس العش [1] وإغراق المدمرة إيلات [2] وغيرها من الأعمال التي يعرفها الجميع .

---

[1] حدثت معركة العش فى أول يوليو 1967م حيث استطاعت وحدة فرعية صغيرة من المقاتلين المصريين أن تنتزع هذا الموقع على الضفة الشرقية للقناة فقرر العدو سحق القوات المصرية بالمدفعية والطيران ثم أعقابها عدد كبير من الدبابات الأسرائيلية ففاجأتهم قواتنا من المشاة فدمرت لهم ست دبابات وعربة مجنزرة ، ونجحت القوة المصرية فى التشبث بالموقع رغم الهجوم الأسرائيلى الرهيب .

(2) قامت القوات البحرية المصرية فى 1967/10/21م بتدمير المدمرة الأسرائيلية ايلات بواسطة زورق صواريخ مصريصغير أصابها بصاروخين وبلغت خسائر اسرائيل 47 فردا مابين قتيل وجريح .

مرحلة الدفاع النشط (الدفاع الوقائي) :

بعد أن تمكنت القوات المسلحة من إعادة بناء قواتها المسلحة جزئياً واستعادة قدرتها الدفاعية إلى حدٍّ لا بأس به ، قررت القيادة العليا التحول إلى استراتيجية الدفاع النشط أو الدفاع الوقائي ، وكانت هذه المرحلة تهدف إلى :

1. عدم السماح لإسرائيل بتحويل خطوطها الحالية إلى خطوط بقاء حصينة .

2. إجبار إسرائيل على الاعتقاد بأن الاحتفاظ بهذه الخطوط الدفاعية يمثل عبء ثقيل تحت وطأة ضربات المدفعية المصرية .

3. بقاء المشكلة الدولية بين مصر وإسرائيل ساخنة ليحس بها العالم ولا ينساها .

4. رفع معنويات القوات المسلحة المصرية والشعب المصري ، وبذلك نحبط المخطط الإسرائيلي للحرب النفسية .

وهذه المرحلة التي عرفت بمرحلة الدفاع الوقائي أو الدفاع النشط بني تقدير الموقف المصري لرد الفعل الإسرائيلي ، على أن إسرائيل أمامها أحد حلين إذا اتبعنا هذه المرحلة ، وهما :

أولاً : أن تلجأ إسرائيل إلى شن حربٍ ضد مصر حتى تحتفظ لنفسها بالتفوق الذي أحرزته وتوقف بذلك النمو المطرد للقوة العسكرية المصرية وتئدها في مهدها قبل أن يستفحل داؤها

وفي الوقت نفسه تستكمل انتصاراتها وتفرض إرادتها ، وبذلك تؤمِّن حدودها وتنهي إلى الأبد مشكلة الكيان الإسرائيلي بل ووجودها كله .

ثانيا : أن تستمر في سيطرتها على الأراضي التي تمكنت من الاستيلاء عليها في عدوان 67 ، وفي محاولاتها الدائمة لتهويد أكبر جزء منها وذلك لفرض سياسة الأمر الواقع بمرور الزمن ، وبرغم ما في ذلك العمل من تكاليف باهظة يتحملها الاقتصاد الإسرائيلي نتيجة احتفاظها بقوات عسكرية ضخمة في وضع تعبئة مستمرة ، مع العمل على وقف التصعيد الذي قد يحدث على جبهة القناة من القوات المصرية بأسلوب العقاب أو الردع وذلك في صورة عمليات عسكرية محدودة ومركزة لتُحدِثْ آثاراً مادية ونفسية على القوات المصرية .

وبدراسة الاحتمالين قررت الاستراتيجية المصرية المضى قُدماً في تنفيذ نظرية الدفاع الوقائي أو الدفاع النشط حيث استنتجت قيادتنا أن إسرائيل سوف تلجأ إلى الاحتمال الثاني ؛ لأن الحل الأول غير مستطاع أمامها لأسبابٍ استراتيجية كثيرة منها أن التوسع يزيد العبء على إسرائيل وذلك لأن فرض سيطرتها على أراضي شاسعة سيؤدي حتما إلى استنزاف جهدها وطاقتها القتالية ويجعلها أكثر تعرضاً لأعمال ردِّ الفعل المحتملة ، كما أن قواتها المسلحة ستفقد ميزة استفادتها من مانع طبيعي قوي هو قناة السويس الذي يضمن لها ولفترة طويلة عدم تعرضها لضربات مصرية مضادة واسعة النطاق ، هذا بالإضافة إلى أن الجو العام للسياسة العالمية كان غير مهيأ لشن حرب شاملة جديدة على العرب بعد أن تحولت إسرائيل بعد عدوان يونيو 67 من حمل وديع ضعيف إلى دولة قادرة جيشها لا يقهر ، والأهم من ذلك طبيعة اليهودي الذي وصفه الله تعالى في القرآن الكريم وهو سبحانه أعلم بخلقه إذ قال تعالى فيهم : ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ . . ﴾ (الحشر : 14) وقد لعبت المدفعية المصرية الدور البارز المؤثر للقوات المصرية المحاربة إذ كانت هي الذراع الطولى للجيش المصري .

عيد المدفعية المصرية :

ويعد اليوم الثامن من سبتمبر عام 1968م من أهم أيام المدفعية المصرية ، حتى أن القوات المسلحة اعتبرت هذا التاريخ هو عيد المدفعية المصرية ، وعلى الرغم من أن أعمال المدفعية المصرية بدأت على جبهة القتال مع العدو الإسرائيلي قبل ذلك التاريخ وبالتحديد في 30 يناير 1968م إلا أن يوم المدفعية المصرية المشار إليه أولاً في 8/9/ 1968م لا زال هو الأعظم والأشهر في أعمالها القتالية ، حيث تقرر فيه تنفيذ قصفة نيران قوية مركزة على جميع الأهداف المعادية على طول مواجهة قناة السويس وبعمق 20 كم لتحقيق عدة أهداف مجتمعة ، وهي :

1 . تكبيد العدو الإسرائيلي أكبر قدر ممكن من الخسائر في قوته البشرية والأسلحة والمعدات .

2 . تدمير الخط الدفاعي الأول الذي بدأ يبنيه على شاطئ القناة .

3 . فرض السيطرة النيرانية للمدفعية المصرية على جبهة القناة .



4 . رفع معنويات قواتنا وإثبات أن الجيش المصري قد هبَّ من كبوته ليقول كلمته في صراعنا مع العدو الإسرائيلي .

وقد اشتركت في هذه الضربة جميع وحدات المدفعية المصرية على طول المواجهة في هذا الاشتباك ، ونتيجة لهذا القصف تكبَّد العدو الإسرائيلي الخسائر الآتية :

. إسكات 17 بطارية مدفعية .

. تدمير 6 بطاريات مدفعية .

. تدمير 19 دبابة .

. تدمير 3 عربات نصف مجنزرة .

. تدمير 27 دشمة مدفع ماكينة .

. تدمير 2 مدفع مضاد للدبابات .

. تدمير 8 مواقع صواريخ (أرض . أرض) عيار 216 مم كانت تهدد مدن القناة .

. تدمير 2 مخزن للذخيرة .

. تدمير 4 مخازن وقود ومناطق إدارية .

. تدمير 13 لوري .

وهذ ه الخسائر هي التي ما تم رصده بالعين المجردة ، وقد تكون هناك خسائر أكبر لم يتم رصدها ، لكن قيادتنا حرصت على أن تكون بياناتها مؤكدة لبث الثقة في النفوس ولتغيير الصورة التي كانت تسير عليها الأمور في حرب يونيو 67 من المبالغات الزائدة .

ولقد كان التخطيط والتحضير الجيد والسرية في تنفيذ العملية أثر كبير في نجاح العملية ، وفي الوقت نفسه قامت المدفعية خلال هذه القصفة بمعاونة بعض الدوريات على العبور والتي نجحت أعمالها بفضل هذا التعاون المثمر ، ويمكن أن نعزو النجاح الذي حققته المدفعية المصرية في تنفيذ هذه المهمة بنجاح وفرض تفوقها النيراني على أرض المعركة إلى الأسباب الآتية :

1 . كان هذا الاشتباك هو أول اشتباك تم التخطيط له بدقة وتم تنفيذه على طول المواجهة .

2 . تم التأكيد والتدقيق على جميع الأهداف المعادية وتحديد أماكنها بدرجة عالية من الدقة لتكون النيران مؤثرة للغاية .

3 . تواجد جميع قادة المدفعية على مختلف المستويات في مراكز ملاحظة تشرف على أرض المعركة .

4 . قامت المدفعية المصرية باستخدام أساليب حديثة في إدارة النيران .

5 . كان لدقة نيران المدفعية الأثر الأكبر في تدمير معظم أهداف العدو .

تفوق المدفعية المصرية :

وبعد يوم 8 سبتمبر عام 1968م الذي فرضت فيه المدفعية نفسها على المعركة حتى استحق أن يوصف بيوم المدفعية المصرية كان عليها أن تحافظ على هذا التفوق أن تؤكد أنها ذراع القوات المسلحة القوية التي يمكنها بها أن تؤكد الصمود وتردع العدو عند اللزوم ، فقررت القيادة العامة للقوات المسلحة تخطيط قصفات نيرانية مركزة على قوات العدو الإسرائيلي ، ولكي تقوم قيادة المدفعية المصرية بأداء هذا المخطط قامت بما يأتي :

1. الاستطلاع التفصيلي لجميع الأهداف ودراستها ودراسة طبيعة تحصيناتها .

2 . اختيار أنسب الأعيرة التي تتفق مع درجة التحصين لكل هدف .

3 . إجراء العمليات المساحية الدقيقة لضمان إصابة جميع المقذوفات لأهدافها تطبيقاً لمبدأ الاقتصاد في نفقات الذخيرة .

وأخذت المدفعية المصرية تهدر يوميا ليلاً ونهارا ، وتصب الحمم على العدو ، وتعرقل تحركاته وتحيل حياته إلـ ى جحيم لا يطاق ، وأخذت خسائر العدو تتزايد يوما بعد يوم ، وتميَّزت أعمال المدفعية خلال هذه الفترة وحتى فبراير عام 1969م بالنشاط النيراني القوي والتفوق على مدفعية العدو ، وبنجاح ضربات المدفعية المصرية في إحداث خسائر مادية ومعنوية جسيمة في صفوف العدو .

وأصبحت إسرائيل تواجه موقفاً غير طبيعيا فخسائرها تتزايد يوما بعد يوم ، وعلى ضوء ذلك لم يكن أمامها إلا أن تلجأ إلى الأسلوب الاستراتيجي التقليدي الذي دأبت عليه مؤخرا وهو القيام بأعمال الردع العسكري حيث قامت بغارات جوية على أهداف نوعية خاصة ليكون لها تأثير نفسي وسياسي على الصعيد الداخلي والخارجي ..

فأغارت على نجع حمادي في 1 / 11 / 1968م ، ومطار بيروت في ديسمبر 1968م ، لكن نتائج هذه الأعمال كانت على عكس ما توقعت القيادة الإسرائيلية فلم يتوقف القصف المدفعي المصري على جبهة القتال ،

كما كان لهذه الأ عمال الخسيسة آثار ضارة على الموقف السياسي العالمي الإسرائيلي إذ استنكرت معظم دول العالم هذه الأعمال الوحشية التي كانت تستهدف أهدافاً مدنية .

مرحلة الاستنزاف :

بعد أن قامت إسرائيل بأعمال الردع التي استهدفت أعمال الردع التي استهدف أغلبها المدنيين والأهداف المدنية ، وتوقعت القيادة الإسرائيلية أن هذه الاستراتيجية ستؤتي ثمارها ، لكن النتيجة كانت خارج توقعاتها لأن القيادة المصرية قررت التصعيد أكثر وقررت التحول إلى مرحلة الاستنزاف ، وبدأت القوات المسلحة المصرية في مارس 1969م تنفيذ خطة تدمير خط التحصينات الذي أقامته إسرائيل على ضفاف القناة .

وفي يوم 8 مارس عام 1969م تمكنت المدفعية المصرية من تدمير الجزء الأكبر من هذا الخط بعد قصف استمر لمدة خمس ساعات مستمرة ، وتم التخطيط لمنع العدو من استعادة كفاءة هذه التجهيزات عن طريق القصف المدفعي المستمر والمركز عليها ، وخصصت وحدات من المدفعية لهذا العمل ، وكانت وحدات المدفعية المشاركة على الجبهة قد وصلت إلى مستوى عالٍ من الكفاءة النادرة

ويقول المشير محمد عبد الحليم أبوغزالة وزير الدفاع الأسبق وقائد سلاح المدفعية بالجيش الثاني الميداني إبان حرب أكتوبر 73 : " لقد رأيت بنفسي ضابط مدفعية في مركز الملاحظة تمكن من تدمير عربة نصف مجنزرة لحظة دخولها إلى نقطة قوية رغم أنها كانت تتحرك خلف ساتر ترابي ولا يظهر منها إلا هوائي الجهاز اللاسلكي ، وكان هذا الضابط قد تمكن من دراسة أسلوب تحرك هذه العربة الذي تكرر لعدة أيام وتمكن من هذه الدراسة أن يحدد سرعتها تماما وطريقة تحركها ، وأجرى على ذلك عدة تجارب صامتة وقام بحساب الزمن الذي تستغرقه دانة مدفعه إلى مدخل النقطة القوية وبالتالي حدد المكان الذي بوصول العربة إليه يجب أن تنطلق الدانة لتتقابل مع العربة عند مدخل النقطة القوية . وكانت حساباته في غاية الدقة فسقطت الدانة وأصابت العربة مباشرة فانفجرت وكان بها ثمانية ضباط إسرائيلين قُتلوا جميعا ، وكُوفئ الضابط وسريته من وزير الحربية بنفسه " .

وتطورت حرب الاستنزاف فبدأت أعمال عبور للقوات المسلحة المصرية بمجموعات صغيرة ثم أغارت بأحجام أكبر وصلت إلى حجم الكتيبة ، ونجحت أعمال الإغارات التي تحولت من مجرد نصب كمائن إلى الإغارة على النقاط القوية حيث كانت المدفعية تغطي هذه الغارات ، ومن أبرز هذه الغارات ما جرى يوم 3 أكتوبر 1969م حيث تمكنت قوة مصرية من الإغارة على النقطة القوية بالدفرسوار ، وقامت المدفعية بستر عملية عبور المانع المائي والوصول إلى مداخل النقطة القوية بأن صبت على هذه النقطة كمًّا كبيرا من النيران ، وتمكنت قوة الإغارة بعد رفع نيران المدفعية من اقتحامها وتدمير ما بداخلها ، وكانت خسائر العدو في هذه النقطة كالتالي : تدمير دبابتين ، و4 مواقع صواريخ ، وقتل عدد كبير من الأفراد .

وقد أظهرت هذه الإغارة المستوى العالي الذي وصلت إليه قواتنا في نواحي تنظيم التعاون بين قائد مجموعة الإغارة وضابط المدفعية المرافق له ، والمستوى الرفيع لوحدات المدفعية في دقة النيران وعزل منطقة العمليات ومنع احتياطيات العدو القريبة من التدخل ، كما تمكنت من إسكات بطاريات مدفعية العدو فور اكتشافها ومنعها من ضرب قوة الإغارة أثناء عملها داخل النقطة القوية وأثناء انسحابها وعودتها سالمة إلى الضفة الغربية .

ومن الأعمال المشرِفة لسلاح المدفعية في هذه الفترة ما أظهرته من قدرة على معاونة قوة الإغارة المصرية على لسان بورتوفيق يوم 10 يوليو عام 1970م وقامت المدفعية بدورها بكفاءة عالية ، فلقد استمرت الحرائق بأهداف لسان بورتوفيق نتيجة ضرب المدفعية المصرية لعدة ساعات ، وبلغت خسائر العدو 5 دبابات إحداها عند مدخل اللسان جاءت لنجدة الدبابات الأخرى الموجودة عند اللسان وقد ظهرت جميع الدبابات مشتعلة ولمدة طويلة ، كما قُتل في هذه الغارة 40 فردا وتم أسر جندي إسرائيلي ، وصدَّق السيد رئيس الجمهورية في نفس الليلة على منح جميع الأفراد المشتركين في العملية نوط الشجاعة .

التاريخ	الخطة التي نفذت	الأهداف التي ضربت	خسائر العدو
70/4/29	قصفة نيران باسم "الانتقام" .	جميع الدشم الموجودة في مواجهة الجيش وجميع الأهداف والبطاريات في القطاع الشمالي من الجبهة .	تدمير 68 فرغل و40 دشمة وإسكات 15 بطارية .
70/6/10	قصفة نيران باسم "هدير"		إسكات 14 بطارية للعدو و12 نقطة قوية للعدو وتدمير رتل للعدو و 14 عربة ودبابة وتهايل منطقة الدشم .
70/4/30	معاونة إغارة على نقط قوية .	القطاع الشمالي .	إسكات 6 بطاريات معادية وستر قوة الإغارة أثناء عبورها وعوتها ومنع دبابات العدو من الوصول إلى مكان الإغارة وتدمير عدد من القوارب .
70/5/30	معاونة كمين وعزل منطقة الكمين بالنيران.		إسكات بطاريتين معاديتين وتدمير دبابتين .

70/6/20	قصفة نيران .	القطاعين الشمالي والأوسط .	إسكات بطاريتين للعدو وتدمير 4 بلوزرات وعدد من الدشم وقفل جميع فراغل الدشم .
70/7/29	قصفة نيران بالصواريخ .	هدف في العمق .	حصلت إدارة المخابرات على معلومات تفيد حدوث خسائر جسيمة في الأرواح والمعدات.
ليلة 7/6/12-11 0	منع محاولة العدو للعبور ومهاجمة الكاب والتينة .	قوة إغارة العدو تقدر بسرية مشاة .	فشلت الإغارة بفضل المدفعية ونيرانها المؤثرة وحاكمت إسرائيل قائد القوة الفاشلة .

بيان لأهم قصفات المدفعية المصرية في حرب الاستنزاف

(8 / 3 / 1969م . 8 / 8 / 1970م)

الخطط الإسرائيلية في مواجهة الجبهة المصرية :

وفي مقابل هذه العمليات المستمرة من قبل الجا نب المصري قامت إسرائيل بالانتقام عمليات الاستنزاف المصرية باستخدام استراتيجية

(الردع الجسيم) باستخدام القوات الجوية لمحاولة إيقاف استراتيجية الاستنزاف ذلك لتعطيل وإرباك آلة الحرب المصرية وشل قدرتها على العمل الإيجابي وتوجيه ضربات قوية مؤثرة إلى نفسية و معنويات الشعب المصري لإضعاف وحدته والعمل على إنهياره من الداخل وساعده على اتخاذ هذا القرار وصول شحنات من طائرات (سكاي . هوك) الأمريكية وبعدها بقليل وصلت طائرات (الفانتوم) الأمريكية إلى إسرائيل في سبتمبر 1969م بعد إتمام الطيارين والفنيين الإسرائيليين الدورات التدريبية على كيفية استخدامها ، وقد بدأت إسرائيل تنفيذ هذه الخطة على ثلاثة مراحل :

المرحلة الأولى : يتم فيها شن غارات جوية ضد القوات المصرية المتمركزة على طول جبهة القتال مع التركيز على قصف عناصر الدفاع الجوي ووحدات المدفعية .

المرحلة الثانية : يزيد فيها نشاط القوات الجوية الإسرائيلية ليشمل سواحل خليج السويس .

المرحلة الثالثة : ويتم فيها تنفيذ غارات العمق داخل الأجواء المصرية مع الاستمرار في شن الغارات على الجبهة أيضا ، ومن أعمال الطيران الإسرائيلي التي استهدفت المدنيين مذبحة مصنع أبي زعبل في 11 / 2 /1970م التي استشهد فيها 70 عاملاً وأُصيب 69 آخرون كما حرق المصنع بالكامل ، ومذبحة مدرسة بحر البقر في 8 / 4 / 1970م واستشهد بها 30 طفلاً وأُصيب 50 طفلاً ، كما قصفت الطائرات الإسرائيلية أهدافاً مدنية بالتل الكبير وأنشاص ودهشور ووادي حوف وحلوان .

وقد استمرت القوات المصرية تمارس أعمالها العسكرية رغم المخطط الإسرائيلي فزادت من حجم أعمال الدوريات والكمائن وقصفات نيران المدفعية . وقد تعرضت المدفعية المصرية لتركيز شديد من الطيران الإسرائيلي بهدف بتر اليد الطولى للقوات المسلحة المصرية لتقليل الخسائر البشرية التي بدأت تزعج المجتمع الإسرائيلي وتهزه من الداخل ، لكن هذه المحاولات جميعها باءت بالفشل ولم تحقق أهدافها .

المدفعية المصرية تقود الجيش المصري في حرب الاستنزاف :

ويصف الكولونيل الهندي "ب . ك . نارايان" حرب الاستنزاف في كتابه "الحرب الإسرائيلية العربية الرابعة" ، بقوله : " إن المرحلة التي تغطي الفترة من مارس 1969 حتى أغسطس 1970 ، وعرفت بحرب الاستنزاف (War of Attrition)

وكانت حرب الاستنزاف امتدادا لمبدأ حرب العصابات التي أعطت القوة العسكرية للأضعف . يقصد الجيش المصري المهزوم في حرب 67. القدرة على الصمود ضد قوات نظامية عدوانية مختلفة مسببة خسائر في الرجال والعتاد استمرت لمدة طويلة وكان الهدف منها هو إشعار العدو بأنه غير آمن وتؤّثر في معناوياته وفي رغبته في البقاء ، وتجبره على استخدام قوات أكبر لتأمين خطوط مواصلاته ومنشآته إلى أن يقتنع بأن بقاءه في الجبهة والتمسك بهذه الخطوط لا طائل من ورائه ..

ولم تكن مصر في عام 1969م قادرة على مواجهة الجيش الإسرائيلي في حرب شاملة ولكنها كانت قادرة على أن تستمر في القتال لفترة طويلة مع الاحتفاظ بالصراع في حدود معينة حتى تشعر القوات الإسرائيلية بضغط قصور القوة البشرية لأن عليها أن تحتفظ بقوات احتياطية كبيرة معبأة الأمر الذي يثقل كاهل الاقتصاد الإسرائيلي .

لقد بدأت حرب الاستنزاف بقصف نيراني مستمر من المدفعية المصرية ضد المواقع الإسرائيلية على طول مواجهة القناة . ولما لم يكن في مقدور المدفعية الإسرائيلية أن تسكت المدفعية المصرية [1]

[1] كانت المدفعية الأسرائيلية ضعيفة بسبب أحتياج المدفعية لعد كبير من المشغلين (8أفراد فى موقع واحد) وهذا لايتوافر لجيش اسرائيل الذى يعانى من نقص القوة البشرية.

فاضطرت إلى القيام بتوجيه ضربات جوية في يوليو 1969م ضد مرابض نيران المدفعية المصرية ، ولكن هذه الضربات لم تنجح في التقليل من تأثير المدفعية المصرية ، لذلك قررت إسرائيل شن حرب استنزاف ضد مصر بالقيام بغارات في عمق الأراضي المصرية .

لقد أثبتت حرب الاستنزاف للمصريين أن المثابرة والعزيمة هما الضمان الرئيس للنجاح . كما اكتسبت القوات المصرية خبرة في مواجهة الغارات الجوية الإسرائيلية والتكتيكات البرية بعد أن استوعبت الأسلحة السوفييتية الحديثة ، وبدلاً من الحرب الخاطفة ذات النتائج السريعة التي اعتادها جيش إسرائيل اضطرت إسرائيل إلى أن تقوم بحرب دفاعية ثابتة وتكتيكات دفاعية ضد الإغارة المصرية ، ولقد ساء الإسرائيليون هذا الانقلاب الجديد في الموقف العسكري والسياسي والذي فرض على إسرائيل اتباع الحذر وأن تصرف النظر عن غارات العمق " .

وظلت المدفعية المصرية الذراع الطويلة للجيش المصري تلحق بالجيش الإسرائيلي على الجبهة أشد الضرر ،

وقد أدى ذلك إلى تغيير جذري في الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية حيث أُجبرت إسرائيل على إدارة حرب دفاعية لم تتعودها وبدأت تحس وطأة خسائر القوات البشرية الناجمة عن الضربات النيرانية القوية التي وجهتها المدفعية المصرية لقواتها .

واستطاعت المدفعية المصرية في هذه الفترة أن تدمّرِ ما يقرب من 60 % من المواقع الحصينة للقوات الإسرائيلية شرق القناة والتي كانوا قد بدأوا إنشاءها منذ أواخر عام 1968م ..

وكانت نهاية حرب الاستنزاف بأن قبلت مصر وسوريا وإسرائيل وقف إطلاق النار في أغسطس عام 1970 م ، وكان وقف إطلاق النار فرصة لكل من الطرفين لتدعيم دفاعها الجوي على الجبهة في مواجهة قناة السويس تحت حماية المدفعية المصرية وضرباتها في العمق ، وإسرائيل لبناء خط بارليف لتحمي حدودها من نيران المدفعية المصرية .

بناء خط بارليف الحصين :

نتيجة لاتساع حدود إسرائيل باحتلال سيناء التي تفوق مساحة إسرائيل نفسها فقد اضطرت لتغيير خططها من أسلوب الحرب الهجومية الخاطفة إلى أسلوب الدفاع التكتيكي الذي يضمن لإسرائيل الاحتفاظ بقواتها على ضفة القنال لكي تخلق حالة الأمر الواقع ولكي تجعل المصريين ومعهم العالم أجمع يدركون أن القناة لا يمكن فتحها للملاحة إلا بتنفيذ الشروط التي تفرضها إسرائيل ، وعلى ذلك كانت أمام إسرائيل ضرورة أن تتواجد قواتها شرق القناة ، وبناء عليه كان عليهم أن يقوموا بحفر خنادقهم لهم على طول الممر المائي في مواقع مؤقتة

فلما شن المصريون حرب الاستنزاف وتعرضت الضفة الشرقية لنيران مستمرة من مدفعيتهم قامت القوات الإسرائيلية بتحسين مواقعها وراحت تشيِّد الحصون لتكفل لها الحماية ولتوقف الخسائر التي بلغت مئات من جنود الوحدات الرابضة في هذه الخنادق على طول ضفة القناة ، وأصبح من الضروري توفير حماية عاجلة لهذه القوات وكان أول من وضع خططاً لبناء خط من المواقع الحصينة هو الجنرال "إبراهام آدان"

وكان المشروع يقضي ببناء دشمٍ حصينة حول المحاور الأربعة التي تبدأ عند القناة ثم تتغلغل د اخل سيناء في اتجاه الممرات الاستراتيجية في شبه جزيرة سيناء ، وبنيت المواقع وأغلبيتها في مجموعات متقاربة بهدف أن يقوم كلٌّ منها بتغطية الأخرى في حالة تعرضها للهجوم وكانت المواقع الرئيسة الأربعة هي التي أُقيمت في كلٍّ من بورتوفيق

(في مواجهة السويس) ، وفي الوسط (في مواجهة الإسماعيلية) وفي محور القنطرة ، وعلى بعد عشرة كيلو مترات من بورفؤاد ، وقد بلغت شبكة هذه الحصون في مجموعها 36 حصنا وقد وضعت هذه الخطوط لتدخل عليها تحسينات مستمرة عاما بعد عام حتى يتم استكمال تحصينها واستمر البناء فيها شهورا طويلة استخدم فيها عشرات الجرارات والبلدوزرات ، وجاءت آلاف السيارات محملة بالأحجار من الشمال لكي تفرِغ حمولتها من أجل إنشاء مصاطب مضادة للقنابل ، ولاختبار صلابة هذه الحماية قام الجيش الإسرائيلي بضربها بدانات المدافع السوفييتية التي غنمها من مصر في حرب يونيو 67 ،

وأُحيطت هذه المواقع بكافة وسائل الحماية والراحة والاتصالات حتى أصبح كل موقع بمثابة حصن منيع كقلاع العصور الوسطى ، وقد زَود شاغلوا هذه المواقع بقوة نيرانية كبيرة لا تتناسب مع أعداد الأفر اد الذين يطلقونها وكان كل موقع تبعا لتقديرات الخبراء يستطيع أن يقاوم لمدة أسبوعٍ كامل لواء من المدرعات ، وقد استنفذت هذه العملية عشرات الملايين من الليرات الإسرائيلية واستخدم لإنجازها آلاف العمال والخبراء ..

وقد أُنجز خط بارليف على ثلاث مراحل ، ففي المرحلة الأولى بُنِي جزئياً حتى تعرض للقصف الكبير عام 1968م وقد أثبت هذا الضرب المستمر الذي أتى على 60 % من هذا الخط أن هذا الموقع لم يصمد أمام قوة النيران وأن الإبقاء على الجنود في تلك الظروف كان يساوي تعريضهم للانتحار ، ثم المرحلة الثانية التي استغرقت كل الفترة التي دارت فيها حرب الاستنزاف حتى أغسطس عام 1970م

وفي أول وقف لإطلاق النار الذي استمر ثلاثة أشهر بدأ البناء حيث دار في هذه الفترة سباق حقيقي من جانب إسرائيل مع الزمن فقد كانوا يخشون أن تعود المدفعية المصرية للقصف لمواقعها ،

فأخذوا يعملون في تطوير المواقع المدمرة التي أصبح عدد كبير منها خرابا وحطاما ، وفي خلال هذه الشهور الثلاثة الأولى من وقف إطلاق النار المؤقت وحدها أنفقت على هذا الخط ثلاثون مليونا من الليرات ، وفي هذه المرحلة قام الجنرال "بارليف" وقادة إسرائيل بجهود كبيرة في دراسة بناء تحصينات أقوى تلائم الوضع الجديد ، فأُعيد بناء النقاط الحصينة وقاموا بالربط بينها في خط ضخم ، وقد استغرق بناء هذا الخط في جميع مراحله 4 سنوات كاملة تكلف فيها 238 مليون دولار أي ما يقارب نصف تكلفة بناء السد العالي .

وقد اعتمد الإسرائيليون في بناء خط بارليف على ما يلي :

1 . نتائج الخبرة المكتسبة من تحصينات مسارح الحرب المعاصرة بما في ذلك حرب فيتنام .

2 . دراسة كاملة إمكانيات المدفعية والقوات الجوية المصرية .

3 . اختيار أماكن النقاط الحصينة التي ستنشأ بحيث تسيطر على مناطق العبور المحتملة لقناة السويس وعلى طرق الاقتراب إلى القناة . وأن يتحقق بينها تعاون بالنيران .

4 . مبدأ الدفاع المتحرك الذي يعتمد أساسا على الهجمات والضربات المضادة باحتياطيات محلية وقريبة وتكتيكية وتعبوية من القوات المدرعة ذات قوة الصدمة وخفة الحركة والقدرة على عبور جميع أنواع الأراضي ، والغطاء الجوي القوي الذي يؤمن حركتها

وقد ربطت مواقع خط بارليف بشبكات اتصال لطلب نجدات الطيران مع أي عبور مصري للقناة ، كما درَّبوا الجنود العاملون بهذه النقاط الدفاعية ليعملوا كمراقبين أرضيين مساعدين للطيران لتسهيل التعاون بين النقاط الدفاعية والدعم الجوي المباشر لها ،

وكذلك كمراقبين معاونين للمدفعية الإسرائيلية ذاتية الحركة والدبابات المحتشدة في العمق التكتيكي كاحتياط متحرك كان يجري تحريكها باستمرار من موقع إلى آخر تجنبا لاكتشاف مواقعها من قِبَل المدفعية المصرية التي تقع داخل مرماها .

وبناء على هذه الأساسيات قامت القيادة الإسرائيلية باستكمال بناء وتحصين هذا الخط المنيع الذي أطلقت عليه اسم "بارليف" نسبة إلى "حاييم بارليف" الذي كان يشغل منصب رئيس أركان الجيش الإسرائيلي إبان حرب أكتوبر 73 والذي اقترح بناء هذا الخط الدفاعي وأسهم في وضع تصميمه وتنفيذه .

تكوين خط بارليف :

ويتكون خط بارليف من 22 موقعا حصيناً يضم 31 نقطة حصينة ، تتسع كل نقطة منها لقوة من المشاة أو القوات الخاصة تصل إلى أكثر من فصيلة مسلحة تسليحا خاصا ، ويوجد في معظم هذه النقاط الحصينة عددٌ من الدبابات والهاونات وقطع المدفعية والرشاشات المضادة للطائرات ، وتعد كل نقطة حصينة منشأة هندسية معقدة حيث تتكون من عدة طبقات تغوص في باطن الأرض وتبلغ مساحتها نحو 4000 متر مربع ، وتتكون النقطة الحصينة الواحدة من :

1 . ملجأ حديدي مكسي بألواح من الصاج المعرج يوجد حولها شكاير من الرمل والحجارة ارتفاعها 2.25 م وعرضها 2 م ، يستند عليها من أعلى طبقة من قضبان السكك الحديدية تتكون من 4 صفوف فوق بعضها البعض ويملأ الفراغ بين سطح الملجأ وقضبان السكك الحديدية بالرمال حتى ارتفاع 50 سم .

2 . يوجد أعلى الطبقة السابقة طبقة من الرمال مقواة بفلنكات السكك الحديدية مرتكزة على ناحية واحدة للاستفادة من خاصية المرونة ولتعمل كسوستة ، وقد تكون مقواة بقضبان السكك الحديدية بدلاً من الفلنكات ويبلغ سمك هذه الطبقة 3 م .

3 . أعلاها طبقة قاسية من قضبان السكك الحديدية (المتقاطعة والمربوطة أو الملحومة) مع بعضها البعض في 3 . 4 رصات بارتفاع حتى 30 . 40 سم .

4 . طبقة قاسية من المكعبات الخرسانية المربوطة مع بعضها البعض بأسياخ حديدية تتكون من 6 . 8 طبقات بارتفاع حتى 2 م .

وهذه الطبقات الأربع يبلغ سمكها 5 . 6 م .

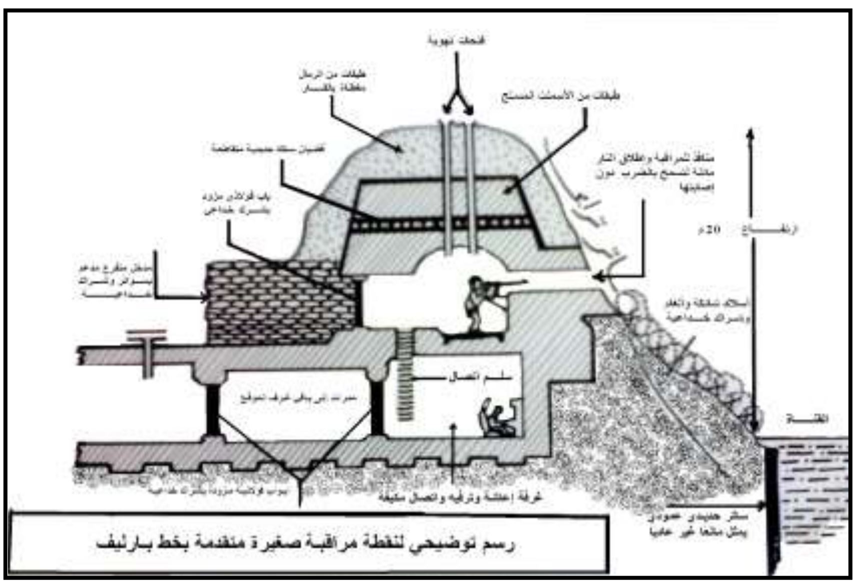
5 . ويتم تكسية جدران الدشم بما يلي :

أ) التكسية بالدبش وذلك بعمل ستائر من سلك الأرانب حول أجناب الدشم مرتفعة عن سطحها بحيث يسمح بترك فراغ يملأ بالدبش .

ب) التكسية بواسطة شكائر الرمل المقواة بفلنكات السكك الحديدية التي تغطي ابتداء من مستوى سطح قاع الدشمة حتى تصل إلى مستوى القضبان الحديدية ، ثم يتم رص مكعبات خرسانية ثم طبقة من شكاير الرمل حتى ارتفاع 1.5 م فوق سطح الدشمة .

جـ) التكسية بواسطة حوائط الدبش المحصور داخل تقفيصات من سلك الأرانب جاهزة الصنع مقاس 1 × 1 × 3 م .

وجهزت كل دشمة بعدة فتحات لأسلحة المدفعية والدبابات وتتصل جميع هذه الدشم ببعضها البعض بواسطة خنادق مواصلات عميقة مكساة بألواح من الصلب أو الصاج وشكاير الرمل ، ويوجد داخل هذه النقاط الحصينة مرابض الدبابات والعربات المدرعة والرشاشات المضادة للطائرات ورشاشات متوسطة وهاونات ومواقع صواريخ (أرض . أرض) ، كما يوجد بها منطقة شئون إدارية بها حمامات ومخازن طعام ..



رسم توضيحي لنقطة مراقبة صغيرة متقدمة بخط بارليف

وأُنشئ بها سواتر عرضية وطولية بغرض تحديد انتشار الشظايا وتأثير موجة الضغط الناتجة عن انفجار دانات المدافع . وبكل نقطة قوية مدخلين تتحكم فيهما أسلحة تضرب على خط ثابت ليلاً ، كما زود العدو النقطة القوية من الداخل بالأسلاك الشائكة التي تتخللها ممرات ملتوية وذلك بغرض زيادة زمن تعرض قواتنا إذا ما نجحت في دخول هذه النقطة . وقد جهزت كل نقطة بحيث يمكنها تحقيق الدفاع الدائري ، كما قُسمت إلى أجزاء يمكن لكلٍّ منها أن يقاوم ويدافع دفاعا دائريا إذا ما سقط الجزء نفسه أو الأجزاء المجاورة له .

وكان ارتفاع الساتر الترابي الذي يمثل المحيط الخارجي للنقاط القوية من أعلى يسمح بتحقيق ميدان ضرب نار جيد حولها وسيطرة بالنيران على مياه القناة .. ولزيادة مناعة النقطة الحصينة أحاطها العدو بنطاقات كثيفة من الأسلاك الشائكة وحقول الألغام المرتفعة حتى يحدد الاتجاهات التي يتحتم على القوات المصرية اقتحام النقطة الحصينة منها ،

وبذلك يسهل تدمير قوة الاقتحام ، وقام بتوصيل النقاط القوية بعضها ببعض بواسطة مدقات قام برصفها داخل الساتر الترابي حتى تخفي تحركاته لأن المدقات الترابية ينتج عنها غبار عند التحرك عليها ، كما بنى العدو موقعان حصينان لبطاريتين مدفعية أحدهما شرق بورفؤاد ليضرب منها مدينتي بورفؤاد وبورسعيد ، والآخر في عيون موسى ليضرب منه السويس والزيتية .

دراسة قادة المدفعية المصرية لخط بارليف :

بعد أن تم بناء خط بارليف وبعد أن أصبح أمرا واقعا ، كان على رجال المدفعية أن يهتموا بدراسة الطريقة التي يمكن بها التغلب على هذه الحصون المنيعة ، وبحث أنسب وسيلة لسحق هذه الدشم ، وعلى هذا فقد أجرت القيادة المصرية دراسة عملية لتنفيذ ذلك وقد اعتمدت هذه الدراسة على ما يلي :

1 . مراقبة مراحل بناء النقاط الحصينة عن قرب ليل نهار على أن يتم تصوير كل شيء عنه بالتفصيل .

2 . عمل سجل تاريخي تفصيلي لكل نقطة حصينة به يوضح مراحل البناء والتكوين وغير ذلك من المعلومات .

3 . عمل دراسة علمية عن قوة تحمل الدشم والملاجئ ، وإجراء الحسابات العلمية اللازمة لذلك .

4 . معرفة نقاط الضعف في خط بارليف ونقاط القوة فيه ، لأن كل خط دفاعي لابد وأن تكون له نقاط ضعف ويستحيل أن يكون قويا في كل مكان ، ولو حاول أحد فعل ذلك لكان ضعيفاً في كل مكان .

وكانت المدفعية المصرية أول من قام بهذه الدراسة في القوات المسلحة وذلك بالتعاون مع سلاح المهندسين ، وذلك لأن بناء هذا الخط كان تحديا قويا لقوة المدفعية المصرية .

ويقول المشير محمد عبد الحليم أبوغزالة قائد مدفعية الجيش الثاني الميداني إبان حرب أكتوبر 73 : " وتمت الدراسة ، ووجدنا الحل وهو يعتبر سرٌّ من أسرارنا العسكرية لم يحن الوقت لإذاعته [1] والشيء الذي يمكن قوله في إطار السرية والمباح أننا تمكنا مما يلي :

---

[1] تم نشر هذه المذكرات فى كتاب للمشير محمد عبد الحليم أبو غزالة بعنوان "وانطلقت المدافع عند الظهر"ص82،83، نشر عام 1974م.

1 . تحديد الأعيرة القادرة على التأثير في هذه المنشآت الحصينة بناء على دراسة علمية دقيقة واعية .

2 . تحديد استهلاك الذخيرة اللازمة لسحق كل منشآت أو إسكات أي سلاح داخل النقطة القوية

3 . تحديد طريقة التنفيذ التي تعطي أحسن النتائج ، وأعني بالطريقة المسافة المثلى للرمي وأنسب خط مرور وأنسب اتجاه للرمي وأنسب طريقة لاستخراج البيانات وغير ذلك من المسائل التي يعرفها ضابط المدفعية المختص .

حرب أكتوبر 73 :

أصبح الموقف على جبهة القتال موقفاً صعبا للغاية بالنسبة للقيادة المصرية حيث يتمركز العدو الإسرائيلي خلف حصون خط بارليف التي أصبحت صعبة منيعة بصورة مفزعة حتى أن العدو الإسرائيلي بالانتهاء منها اطمأن تماما إلى استراتيجية الحدود الآمنة التي ركن إليها بعد أن كان يسعى دوما إليها ، كما شيَّد حصوناَ ضخما لقواته في مواجهة القوات السورية ، وقام العدو الإسرائيلي كذلك بتحقيق استراتيجيته التي تُدعى بالدفاع المرن وهي استراتيجية تقوم على استخدام دفاعٍ يعتمد على احتياطياته العسكرية الضخمة التي ترتكز على مواقع حصينة مؤمنة

وكانت إسرائيل لسنوات طويلة تتدفق عليها أحدث الأسلحة والمعدات العسكرية حتى تحولت بحق إلى ترسانة ضخمة لأحدث أنواع الأسلحة في العالم ، وقبل حرب أكتوبر 73 ، كانت تلك الترسانة قد استوعبت أقصى ما يمكن أن تتحمله من أسلحة ومعدات إما في صورة صفقات كاملة جاءتها في شكل معونات من الولايات المتحدة الأمريكية ،

أو في صورة صفقات يتم تغطيتها من ميزانية الدفاع الإسرائيلي التي بلغت في السنة المالية 1972م / 1973م مبلغ 5300 مليون ليرة إسرائيلية (ما يوازي 1247 مليون دولار وقتئذ) في حين كان إجمالي الدخل العام الإسرائيلي 6200 مليون ليرة أي أن نصيب الفرد الإسرائيلي من الأسلحة المشتراة 470 دولارا ، وكان إجمالي عدد أفراد القوات المسلحة الإسرائيلية في ذلك الوقت 25

ألف جندي عامل ، و125 ألف مجند مع إمكانية القفز بهذا العدد إلى 300 ألف جندي خلال 72 ساعة من إعلان التعبئة العامة [(1)][(1)] وكان توزيع الجيش كالتالي :

[(1)] كان عدد سكان اسرائيل ففى ذلك الوقت 3155000نسمة ، ولتعويض قلة عدد السكان الى جانب جيرانها من العرب فقد جعلت نظام التجنيد يشمل الرجال والنساء ،حيث يقضى الرجال 36شهرا فى الخدمة الألزامية ، فى حين تقضى النساء 20 شهرا هذا بالأضافة الى دورات تدريبية سنوية لقوات الاحتياط التى تعتمد اسرائيل عليها اعتمادا كبيرا .

أولاً : القوات البرية :

تتكون من 11500 جندي عامل ، و150000 مجند يرتفع عددهم إلى 275000 عند إعلان التعبئة العامة ليكونوا الوحدات والتشكيلات الآتية :

. 10 ألوية مدرعة .

. 9 ألوية مشاة ميكانيكية .

. 5 ألوية مشاة .

. 5 ألوية مظلات .

. 3 ألوية مدفعية ميدان .

وكان تسليح هذه التشكيلات كالتالي :

. 2350 دبابة من طرازات : "بن جوريون" و"سنتوريون" و"سوبر شيرمان" و(تي . 67) بالإضافة إلى عدد غير معلوم من دبابات (إم . 60) أحدث دبابة أمريكية في ذلك الوقت .

. عدد غير معلوم من العربات المدرعة من طرازات : "ستاج هاوند" ،

و(إيه . إم . إل . 60) و(إيه . إم . إل . 90) .

. 1000 عربة نصف مجنزرة من طرازات : (إم . 2) ، و(إم . 3) .

. عدد غير معلوم من ناقلات الجند المدرعة من طرازات : (إم . 113) .

. 352 مدفعا ميدانيا عيار 55 مم ، و105 مم .

. عدد غير معلوم من المدافع الثقيلة عيار 175 مم أقوى مدفع أمريكي في ذلك الوقت .

. عدد غير معلوم من المدافع المحمولة على شاسيهات دبابات شيرمان .

. 900 هاون عيار 120 مم ، و160 مم .

. عدد غير معلوم من مدافع هاوتزر عيار 122 مم ، 130 مم .

. قواذف إطلاق صواريخ عيار 240 مم .

. مدافع مضادة للدبابات ذاتية الحركة عيار 90 مم .

. مدافع عديمة الارتداد عيار 106 مم محمولة على سيارات جيب .

. صواريخ مضادة للدبابات موجهة من طراز "كوبرا" ، و(إس . 10) ، و(إس. إس . 11) .

. صواريخ (أرض . أرض) طراز "أريحا" يصل مداها إلى 280 ميلاً .

ويبلغ التسليح الإجمالي للمدفعية الإسرائيلية : 1593 مدفع ميدان وهاون ، و906 قطعة مضادة للدبابات

ثانياً : القوات البحرية الإسرائيلية :

وكانت تضم 3500 مقاتل عامل ، و1000 مجند ، يصل مجموعهم بعد التعبئة العامة إلى 5000 مقاتل منهم 500 من الكوماندوز ، وتسليحهم بمعدل 77 قطعة بحرية كما يلي :

. غواصتين .

. مدمرتين .

. 12 زورقاً سريعا مزود بصواريخ "جابرييل" (سطح . سطح) .

. 4 زورق طوربيد .

. 12 زورق دوريات صغير .

. 10 مركبات إبرار بحري .

ثالثاً : سلاح الجو الإسرائيلي :

ويضم 10000 مقاتل عامل ، و1000 مجند ويصل عددهم إلى20000 مقاتل بالتعبئة العامة ، وتسليحهم كالتالي :

. 777 طائرة منها : قاذفات مقاتلة ، ومقاتلات اعتراضية من طرازات : (إف . 4 تي) ، و(سكاي هوك) ، و(ميراج . 3 سي) ، و(ميستير . 4 أ) ، و(أورجان) ، و(سوبر ميستير) قاذفة قنابل خفيفة طراز (فوتور) ، وطائرات استطلاع طراز : (آر . إف . 4 تي) وطائرات نقل طراز (ستراتو كروزر) ، و(نور أطلس) ، وطائرات تدريب طراز (ماجستير) ، وطائرات هليكوبتر من طرازات مختلفة ، وطائرات استطلاع بدون طيار من طراز : (فايربي . 1) ، و(شوكار) .

قوات الدفاع الجوي :

وكانت تتبع سلاح الجو الإسرائيلي ، وتضم :

. 8 بطاريات صواريخ (أرض . أرض) طراز "هوك" .

. 20 كتيبة مدفعية مضادة للطائرات متنوعة الأعيرة .

. مدافع مضادة للطائرات أعيرة 20 مم ، 30 مم ، 40 مم .

بالإضافة إلى ذلك قوات الناحال وتضم 19000 مقاتل ، وقوات حرس الحدود وتضم 4000 مقاتل .

استعدادات سلاح المدفعية المصري للقتال :

قبيل حرب أكتوبر 73 قام الرئيس الراحل محمد أنور السادات بتعيين اللواء / محمد سعيد الماحي في منصبه قائدا لسلاح المدفعية اعترافاً منه بقدرته على الاضطلاع بهذا المنصب الخطير ، وذلك تقديرا لقدرته وبطولاته . وتحدَّث الرئيس السادات معللاً اختياره له . وذلك في حديث صحفي عن دور المدفعية في الحرب بعد سنوات من المعركة . قائلاً : " إن المدفعية المصرية الرهيبة لعبت أخطر الأدوار في المعركة .. وقائد المدفعية في الميدان الفريق الماحي الذي يعمل معي الآن كبيرا للياوران .. رجل رهيب فعلاً .. مثل مدفعيته .. إنه هادئ صامت يتحدث في همس .. وقد تلقى التعليمات بضرب العمق في إسرائيل إذا بدأت إسرائيل وكانت تعليمات تفصيلية حاسمة .. إنه رجل رهيب فعلاً .. كنا في غرفة العمليات وكنت أصدر إليه الأمر بضرب المواقع المحددة بآلاف الأطنان من القذائف .. يتلقى الأمر في هدوء ، ويعود إليَّ بعد دقائق وفي هذه هامس يتقدَّم بورقة صغيرة ويقول بصوت مسموع تم التنفيذ ، وينصرف وكأنه لم يفعل شيئاً .. وكأنه لم يقلب مواقع الإسرائيليين رأسا على عقب " .

وكان اللواء / محمد سعيد الماحي عند تقدير قائده الأعلى له فقام بواجبه خير قيام ، وأعد خطة لأكبر تمهيد نيراني في تاريخ الحروب على مستوى العالم ، واستعان فيها بالعميد / منير شاش قائد مدفعية الجيش الثالث الميداني ، والعميد / محمد عبد الحليم أبو غزالة قائد المدفعية بالجيش الثاني .

وكانت هناك مجموعة من العوامل التي تحكمت في وضع خطة استخدام المدفعية وتوزيعها على القطاعات المختلفة أهمها :

1 . ضرورة تحقيق السيادة النيرانية في مسرح العمليات وتحقيق التفوق على مدفعية العدو في كل محور من محاور العمل لقواتنا المسلحة .

2 . تحقيق كثافات في المدفعية بمختلف أنواعها وخاصة المدفعية المضادة

للدبابات بما يحقق إمكانية معاونة القوات على تحقيق معدلات عالية لتقدم القوات وصد الهجمات والضربات المضادة من قبل العدو .

3 . تركيز الجزء الأكبر من المدفعية في اتجاهات المجهود الرئيس لجيوش المواجهة .



عميد / منير شاش
قائد مدفعية الجيش الثالث



عميد /محمد عبد الحليم أبو غزالة
قائد مدفعية الجيش الثانى

4 . تحقيق الاتزان والثبات لرؤوس الكباري .

5 . توفير احتياطيات قوية وكافية حتى يمكن مجابهة أي تطور للموقف خلال أيام القتال .

وطبقاً لهذه الأسس والعوامل تم وضع خطة استخدام تفصيلية للمدفعية ووزع الدعم على التشكيلات بالأعيرة المناسبة (توزيع نوعي) وبالحجم المناسب (توزيع كمي) لضمان إمكانية التعامل مع النقاط الحصينة ومع مدفعية العدو بعيدة المدى وغير ذلك من المهام .

وقام اللواء الماحي ومعاونوه بوضع مخطط للتمهيد النيراني روعي فيه الابتعاد عن الأسلوب النمطي نظرا لاختلاف ظروف المعركة عن أي معركة سابقة ، وكان ذلك يمثل معادلة صعبة ؛ لأنه كان عليهم الاختيار ما بين وضعين :

أولهما : أن تكون مدة التمهيد النيراني قصيرة إلى حدٍ ما لضمان صبِّ أكبر قدر من دانات المدفعية في أقصر وقت ممكن على دفاعات العدو لتحقيق المفاجأة بأعلى كثافة نيرانية ممكنة .

ثانيهما : أن تكون مدة التمهيد النيراني طويلة نسبيا بما يضمن تغطية قواتنا أثناء اقتحامها للقناة ووصولها إلى الهيئات الحاكمة القريبة وعزل النقاط الحصينة وتوفير الوقت الكافي للمدفعية لتدمير حصون خط بارليف .

وأُختير الوضع ا لثاني حيث اقترحت مدة طويلة نسبيا بلغت مدتها 53 دقيقة ، ولتحديد لحظة بداية التمهيد النيراني بالنسبة لتوقيت بدء اقتحام القناة أُجريت عدة دراسات علمية لكل العوامل المؤثرة ، وأهمها :

1 . أنسب الظروف الجوية لأعمال المدفعية من حيث العوامل التي تؤثر على سير المقذوفات في الجو .

2 . أنسب أوقات النهار لتنفيذ مهام الرمي المباشر بكفاءة مع عدم إعطاء الفرصة للعو لتوجيه ضربات جوية متكررة ضد مدفعيتنا .

3 . أنسب الليالي القمرية من حيث ظهور القمر واختفائه وشدة إضاءته وتأثير ذلك على مدى الرؤية وعلى كفاءة أجهزة المراقبة والرؤية الليلية ، وتأثير ذلك على أعمال المساحة للمدفعية وغير ذلك من المسائل وقد استغرقت هذه الدراسة بمدة شهور تم فيها تكوين طاقم عمل من الضباط يبدأ عمله مع غروب الشمس وينتهي مع شروقها يرصدون كل شيء ويدونوه في صمت وسرية وصبرٍ ، ثم جرى تحليل لكل البيانات ووضعت عليها كافة الاستنتاجات ، وشملت هذه الدراسة :

. زوال الشمس وتأثيرها على الرؤية ، فالشمس في الصباح تكون أشعتها في عيون المهاجم من الغرب إلى الشرق ، وبعد الظهر تكون في صالحه وضد المدافعين .

. تمت دراسة استمرت حوالي سنة كاملة تم فيها أخذ متوسطات سرعة الرياح واتجاهاتها على الارتفاعات المختلفة حتى 40 كم مع مقارنتها بالمتوسطات التي تنشرها مصلحة الأرصاد الجوية في كتيب يسجل ذلك في عشرين عاما مضت ، وتم عمل رسوم بيانية لكل عنصر من عناصر



الأحوال الجوية ومدى تأثير ذلك على القذف المدفعي ، واتضح من هذه الدراسة أن أنسب الشهور لذلك هو شهر أكتوبر .

كما أُجريت دراسات أخرى كثيرة وقد أُختير منها جميعا يوم الهجوم وساعته وكانت (سعت 1405) الثانية وخمس دقائق بعد ظهر يوم السبت السادس من أكتوبر من عام 1973م ، وأن يبدأ التمهيد النيراني قبل اقتحام القوات الرئيسة للقناة بربع ساعة ، وأن تستمر طوال تقدم قوات المشاة إلى أن تصل إلى أهداف محددة حيوية (أي إلى ما بعد بداية الاقتحام بمدة 38 دقيقة) .

وهكذا وضعت خطة استخدام المدفعية المصرية ووضعت بعناية ودقة فائقة ، اعتمدنا في وضعها على العلم العسكري المتطور ، ولذلك نجحت المدفعية المصرية في تحقيق أهدافها بكفاءة نادرة شهد بها العدو والصديق .

لقد أجمع الخبراء العسكريين الذين زاروا الجبهة المصرية طوال فترة وقف إطلاق النار ، وشاهدوا دفاعات إسرائيل على الطبيعة أن العبور شبه مستحيل ، وأن الموانع الموجودة أمام القوات المصرية موانع شيطانية لا قبل لقوة نظامية مهما بلغت قوتها وتنظيمها وكفاءتها بالعبور .

ولم تكن تلك المشكلة الوحيدة ، بل كانت المشكلة الأساسية التي كانت تواجه قواتنا وتهدد إمكانية العبور هي : كيف يمكن للمشاة أن تعبر مانع خط بارليف الحصين ابتداء بالمانع المائي والساتر الترابي ومرورا بباقي أجزاء النقاط

الحصينة بنجاح ما لم نقم بتدمير وإسكات الرشاشات والمدافع التي تطل من فتحات خط بارليف التي تغمر القناة بطولها ؟



واحدة من قطع المدفعية المصرية المتقدمة

وكانت الإجابة على هذا السؤال من خلال المدفعية التي قامت بحل هذه المشكلة على أحسن وجه ..

لقد أُعدت الخطة بأحكام وكانت السرية والخداع أهم أسلحتنا في المعركة حتى أن رجال موجة العبور الأولى ورجال المدفعية ظلوا قابعين في خنادقهم بكامل أسلحتهم ومعداتهم لمدة زادت عن 12 ساعة دون أن يرفع أحدهم رأسه ويراه العدو بكامل معداته وملابسه الميدانية ، وظلت باقي القوات حتى آخر لحظة لا تبدي استعدادها للمعركة ولم يلحظ العدو أي تغير في أوضاع القوات ، فقد شاهدوا أفراداً من القوات المسلحة يسبحون ويستحمون في القناة ويلعبون الكرة ويسترخون تحت أشعة الشمس يمصون القصب ويقشرون البرتقال ..

وظلت هذه الصورة قائمة دون أي افتعال وكأنما الزمن قد توقف عندها .. منطقة المواجهة منذ الصباح الباكر وحتى ما بعد الظهيرة هادئاً تماما .. وفي هذا الوقت كانت مراكز ملاحظة المدفعية المصرية ترصد كل سكنة في قطاع مسئوليتها وفي الفترة الممتدة من سعت 1300 (الواحدة ظهرا) وسعت 1400 (الثانية ظهرا) تم تأكيد أهداف المدفعية ،

وفي مركز العمليات الرئيس للقوات المسلحة المصرية وقف اللواء / محمد سعيد الماحي برفقة قادة الأسلحة الأخرى والقائد الأعلى للقوات المسلحة وقادة الأركان والعمليات وأنظارهم جميعا معلقة باللوحة الخاصة بالعمليات ..

ضباط الاتصال بالقوات الجوية يسجلون اتجاه المقاتلات المصرية المتجهة نحو الشرق إلى قناة السويس ، وبعد 4 دقائق كانت الطائرات المصرية تعبر سماء القناة في خط مستقيم على ارتفاعات شديدة الانخفاض تخترق أجواء سيناء وتتفرق في أسراب إلى أهدافها المحددة ..

وحشدت قطع المدفعية المصرية على مواجهة قناة السويس بما يمثل أضعاف عدد المواقع التي تم حشدها في معركة العلمين في كلا الجانبين المتحاربين ، فقد خرج فجأة في الموعد المحدد رجال مدفعية الميدان ، والمدافع الصاروخية ، والمدافع المضادة للدبابات والهاونات بأعيرتها المختلفة ، وصواريخ (أرض . أرض) متوسط المدى

كما استخدمت مصر أقوى مدفع في العالم وقتئذ من عيار 180 مم ويبلغ مداه 44 كم حيث تصل قذائفه إلى ممرات سيناء .. فقد اصطف ألفا مدفع تستعد لتفتح أبواب الجحيم على مواقع العدو ..

يقول الجنرال "شموئيل جونين" قائد الجبهة الإسرائيلية الجنوبية : " يبدو أن حجم القوات المصرية ضخم ، وعملية الهجوم ضخمة ، والعتاد ضخم ، والمدفعية المضادة للدبابات ضخمة " .

وفي الساعة الثانية بعد الظهر وصلت أولى البلاغات من ميدان القتال عن استعدادات القوات المصرية إلى غرفة العمليات ، وكان أول بلاغ هو بلاغ قائد مدفعية الجيش الثاني الميداني العميد / محمد عبد الحليم أبوغزالة ، جاء فيها : " النيل حاضر لتنفيذ مأمون " ، والنيل اسم رمزي لمدفعية الجيش الثاني الميداني ، ومأمون هو الاسم الرمزي لأول قصفة في التمهيد النيراني ، ووصل رد قائد الجيش : " كل شيء في ميعاده " ،

وبعد دقيقة واحدة من انطلاق الطائرات المصرية وبالتحديد في تمام الساعة الثانية وخمس دقائق بعد الظهر أصدر قائد المدفعية اللواء / محمد سعيد الماحي أمره قائلاً : " النيل اضرب ! " ، وانطلقت جميع هذه المدافع إلى أهداف العدو القريبة والبعيدة في غلالة كثيفة من النيران فيما يسمى بمرحلة التمهيد النيراني للمعركة .

ويقول الفريق / محمد عبد الغني الجمسي رئيس العمليات بحرب أكتوبر 73 في مذكراته : " في نفس الوقت الذي كانت قولتنا الجوية تهاجم أهدافها في عمق سيناء ، وكان هناك ألفا مدفع على طول جبهة القناة من مختلف الأعيرة ومجموعة من الصواريخ التكتيكية (أرض . أرض) ، بالإضافة إلى الهاونات أخذت تقصف مواقع العدو في خمس قصفات متتالية شاركت فيها 135 كتيبة مدفعية كانت تقصف على مدى 1 . 1.5 كم داخل خطوط العدو ، ثم زاد المدى ليصل إلى 3 كم ، وتحت هذا الستار النيراني للمدفعية والغطاء الجوي للطيران انطلقت أولى موجات العبور .. واستمر القصف لمدة 53 دقيقة ، وكان معدل القصف النيراني شديدا بحيث سقط على المواقع الإسرائيلية في الدقيقة الأولى 10500 دانة مدفع بمعدل 175 دانة في الثانية الواحدة بإجمالي 556500 قذيفة مدفعية أي أكثر من نصف مليون قذيفة " .

ويقول المؤرخ العسكري المصري جمال حماد في كتابه " المعارك الحربية على الجبهة المصرية " : " في الساعة الثانية وخمس دقائق بدأت 2000 قطعة مدفعية ، وهاون ، ولواء صواريخ تكتيكية (أرض . أرض) التمهيد النيراني الذي يعد واحدا من أكبر عمليات التمهيد النيراني في تاريخ الحروب ، وقد قام بالتخطيط له اللواء / محمد سعيد الماحي قائد المدفعية ، واشترك فيه 135 كتيبة مدفعية

وعدة مئات من مدافع الضرب المباشر كانت تتبع العميد / محمد عبد الحليم أبوغزالة قائد مدفعية الجيش الثاني الميداني ، والعميد / منير شاش قائد مدفعية الجيش الثالث الميداني .

وفي الساعة الثانية وعشرين دقيقة كانت المدفعية المصرية قد أتمت القصفة الأولى من التمهيد النيراني التي استغرقت 15 دقيقة والتي ركزت على جميع الأهداف المعادية التي على الشاطئ الشرقي للقناة والتي تمتد إلى عمق يتراوح بين 1 . 1.5 كم في اتجاه الشرق ..

ثم بدأت القصفة الثانية والتي استمرت 22 دقيقة على الأهداف المعادية إلى عمق يتراوح بين 1.5 . 3 كم من الشاطئ الشرقي للقناة وفي هذه اللحظات بدأ عبور الموجات الأولى للعبور في القوارب الخشبية والمطاطية " ،

وعبر في الموجة الأولى للعبور رجال ملاحظة المدفعية الذين نجحوا في تصحيح نيران المدفعية ، كما لعب رجال المدفعية الذين أُنزلوا خلف خطوط العدو في إدارة نيران المدفعية دورا كبيرا وكان لهم فضل كبير في نجاح ودقة نيران المدفعية وتأثيرها على العدو ..

ويقول اللواء / حسن البدري ، واللواء / طه المجدوب ، وعميد أركان حرب / ضياء الدين زهدي في كتابهم " حرب رمضان " : " توالت البلاغات عن مدى تأثير النيران والخسائر التي أحدثتها المدفعية بالعدو ، وعن نجاح المدفعية في فتح جميع الثغرات المخطط لها في موانع الأسلاك الشائكة والألغام على الميل الأمامي للساتر الترابي وحول النقاط القوية والحصون والقلاع المعادية .. ففي الساعة الثانية وعشرين دقيقة بعد الظهر (سعت 1420) بدأت الموجة الأولى لقواتنا في عبور القناة ، ومعها أسلحتها الخفيفة ..

ورافق المشاة في اقتحامها ضباط ملاحظة المدفعية ووحدات الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات ، وفي نفس اللحظة كانت صواريخنا التكتيكية تشق عنان السماء بأمرٍ مركزي من مدير سلاح المدفعية لتصبَّ أهدافها في عمق سيناء وتحيلها إلى دمار ، وكانت تلك أول ضربة بالصواريخ التكتيكية في تاريخ الشرق الأوسط . لقد نُفذ التمهيد النيراني كما خُطط له بالضبط ..

وكانت نتائجه أكثر مما نأمل إلى درجة أنه لم تتمكن دبابة معادية واحدة من صعود الساتر الترابي واحتلال المصاطب المجهزة به لتوقف عبور قواتنا ، واستمرت نيران المدفعية تزحف أمام القوات الأخرى التي تابعت توسيع رؤوس الكباري ، وذلك بفضل ضباط ملاحظة المدفعية الذين عبروا مع الموجات الأولى للعبور من قواتنا ، وكنا جماعات ملاحظة المدفعية التي كانت تعمل خلف خطوط العدو والتي انتشرت مع دبابات المعركة على طول مواجهة وعمق العدو لإدارة نيران المدفعية على أبعد مدى ممكن " .

لقد أحرزت المدفعية المصرية نصرا ساحقاً على كافة المستويات ، وحققت نجاحا مبهرا ، فقد كان التمهيد النيراني للمدفعية المصرية من القوة لدرجة أن معظم بطاريات مدفعية العدو أكثر من 90 % منها قد أُسكتت منذ اللحظة الأولى ولم تتمكن من إنتاج أية نيران مؤثرة على قواتنا ، وكان ذلك أول بادرة للنصر الذي حققه جيش مصر الباسل .

لقد كان القصف المدفعي المكثف على النقاط الحصينة لخط بارليف وأماكن تمركز احتياطيات العدو بدقة وكثافة وقوة لم يسبق لها مثيل

حيث انهالت النيران المباشرة على مزاغل الدشم ونقط النيران لتدمرها وتفتح الثغرات في مواقع الأسلاك الشائكة والألغام ، كما كانت مدفعيتنا تركز نيرانها على خطين طوليين في تلك المواضع حيث تقوم قذائفها الثقيلة بخلخلة أجناب السد الترابي ، وتمزق شبكة أسلاكه الشائكة ، وتفجر حقول الألغام ، وكانت تلك الخطوة البارعة تمهيدا لعمل مضخات المياه الجبارة التي أنهارت أمامها رمال وأتربة الساتر الترابي

وقد تولت المدفعية الميدانية بأسلوب مبتكر فتح ثغرات عديدة في حقول الألغام المنتشرة حول مواقع خط بارليف ومن خلال هذه الثغرات اندفعت مفارز من قوات المشاة تعبر القناة لتستولي على مصاطب الدبابات الموجودة في العمق القريب وتثبّت الألغام والشراك الخداعية في المصاطب الأخرى وتنصب الكمائن على طرق اقتراب احتياطيات العدو المحلية لتمنعها من التدخل في اقتحام القناة بواسطة القوات الرئيسة التي ستكتمل بعد دقائق ، واستطعنا مفاجأة المواقع الإسرائيلية بخط بارليف إذ كان يعتقد أننا سنهاجم هذه المواقع من الخلف والأجناب وكان هجومنا بالمواجهة من الأمام عبر حقول الألغام مفاجأة كبيرة على المستوى التكتيكي .



لقد كان الدور الأساسي للمدفعية في تدمير وإسكات مدافع ورشاشات العدو التي تطل من فتحات ومزاغل خط بارليف فأُجبرت قواته بذلك على البقاء داخل نقاط الحصن المنيع تاركة الرد على مدفعيتنا لمدفعيته في العمق مما أدى إلى ترك ساحة الشاطئ الشرقي مفتوحة للقوات المصرية العابرة ، وبذلك شغلت مدفعية العدو وشتت انتباهه عن عملية العبور .

ومن ناحية أخرى فقد كان سلاح المدفعية هو السلاح الأساسي الذي تصدَّى لدبابات العدو في المرحلة التي لم يكن لنا فيها على الضفة الشرقية إلا قوات المشاة قبل عبور الدبابات والمدرعات الـ مصرية وتكفلت بتدمير احتياطي العدو التكتيكية والتعبوية التي كانت معدَّة للتعامل مع قواتنا في حالة أي عبور كامل وبذلك حدَّت من فرص وإمكانات المقاومة في لحظات النزول الأولى على الضفة الشرقية ، وبهذا نجحت المدفعية في اقتطاع مقدمة الجبهة مؤقتاً من دائرة دفاعات العدو لتنفرد قواتنا بالمسرح حرًّا خلال ساعات الحسم الثمينة تماما مثلما نجحت الضربة الجوية في تعطيل دفاعاته في العمق فأُصيب بالشلل المؤقت ،

وتحت هذا القوس النيراني الهائل المحدب بدأت أولى مراحل التحرك الأرضي وفي المرحلة الأولى هذه التي كان قوامها المهندسين والمشاة عبروا في 1000 قارب مطاطي خفيف عبر قناة السويس وبالمركبات البرمائية جنوب البحيرات المرة التي تقع شمال بحيرة التمساح تحمل آلاف المهندسين والكباري والمعابر كما انطلق عدد كبير من رجال الصاعقة والكوماندوز لتأمين رؤوس الكباري ، وكانت مرحلة بناء الكبار ي مرحلة بالغة الدقة والتعقيد وكان لابد لها أن تتم بسرعة وكفاءة تحت ستار نيران المعركة الكثيفة ، وهنا جاء دور المدفعية المصرية التي غطت حركة العبور ، كما غطت عمل المهندسين العسكريين ورجال الصاعقة والكوماندوز .

ومن أبهر النتائج الإيجابية لهذه القصفات التمهيدية أنها أثرت حتما على مواقع الاتصالات الخطية واللاسلكية ومواقع الإنذار المبكر (نقطة المراقبة بالنظر التابعة لشبكة الدفاع الجوي الإسرائيلية والتي تعتبر وسيلة الإنذار الأولى ضد الطيران المنخفض الذي لا ترصده شبكات الرادار) التي تنتشر بين تحصينات خط بارليف ،

الأمر الذي شل فاعلية هذا العنصر الحيوي من عناصر الدفاع الجوي الإسرائيلي ومكن طائرات السلاح الجوي المصري من مفاجأة العدو وظهورها فجأة وبدون توقع فوق أهدافه الحيوية داخل سيناء .

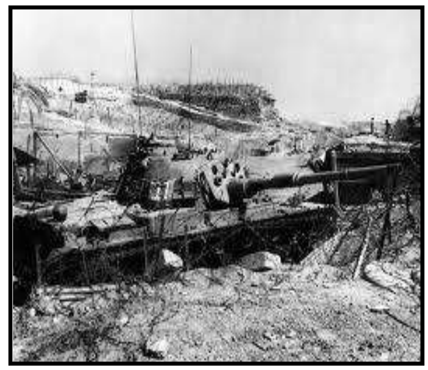
إن الهدير المفاجئ لهذه المدافع الميدانية تسبب في إصابة القوات الإسرائيلية التي تعرضت له بالذهول والصدمة التي بدأت مع الطلقات الأولى للمدفعية وسرت بين مختلف القوات والقيادات فيما هو أشبه بعمليات "التفاعل المتسلسل" حتى خرج الوصف الشهير الذي قال : " واستطاع العرب أن يمسكوا بإسرائيل وهي عارية من الملابس !! "

لقد أكد أحد القادة الإسرائيليين الذي كان مسئولاً عن خط بارليف لمجلة "شيتون" الألمانية : " إن المدفعية المصرية صبت على هذا الخط كمية غزيرة من النيران لم تشهدها معركة من قبل على الإطلاق " وأضاف بقوله : " إنني أعتقد أن الجندي الإسرائيلي قد أذهلته المفاجأة ولم يفهم حقيقة ما حدث " .

لقد وقف جندي المدفعية المصري لأول مرة خلف مدفعه وهو يفهم جيداً العلاقة بين "الظا" و"الظتا" ، و"الجا" و"الجتا" ، والعلاقة بين خط المرور المسطح وخط المرور المنحني .. يلم بالقواعد الأساسية للرياضيات وحساب المثلثات ، وهي القواعد الحيوية للتمكن من إصابة الأهداف التي لا تراها العين المجردة بعد أن كان جندي المدفعية المصري قبل ذلك يقف ورائه ولا يستطيع حتى قراءة الزوايا والدرجات .

وبرغم قوة المدفعية الإسرائيلية المجهزة بأحدث وأقوى المدافع ، إلا أنها باتت عاجزة إذا ما قُورنت بالمدفعية المصرية ودورها الرائع ، وعلى الرغم من تمركز المدفعية الإسرائيلية الجيد في مواقع الاحتياطي البعيدة والقريبة بصورة تمكنه من رصد مواقعنا بدقة تجعل إمكانية إصابتها تصل إلى نسبة 100 % في حين يكون جنودهم قابعين داخل حصونهم

وقد أغلقوا أبوابها الفولاذية عليهم ، فقد ظهرت المدفعية الإسرائيلية التي كانت تضرب من مواقع الاحتياطيات البعيدة والقريبة وكأنها عمياء تماما حتى أنها فتحت نيرانها على حصون خط بارليف ظناً منها أن رجالنا ما زالوا بالخارج بينما كان رجالنا قد دخلوا حصونها وتعاملوا مع من فيها بالأسلحة البيضاء بعد أن فسخوا الأبواب الفولاذية ، فساهمت بذلك في ضرب قواتها وتدمير الحصن المنيع الذي انهالت عليه الضربات من الأمام والخلف .







أحدى حصون خط بارليف

لقد التقطت أجهزة التنصت المصرية ذلك الاتصال الذي أجراته مجموعة من احتياطي الدبابات الإسرائيلية في جنوب سيناء مع قيادته في المؤخرة حيث صاح أحد أفرادها في توتر شديد قائلاً : " جنرال ! المدفعية المصرية يجب القضاء عليها ، لقد أذاقتنا الهوان ، لن نستطع التقدم من مواقعنا ، لن نستطع الوصول إلى القناة لإنقاذ قواتنا في النقاط الحصينة ، إن مدافع هذا الجنرال . يقصد اللواء / محمد سعيد الماحي قائد سلاح المدفعية . قد أذاقنا الهوان " .

وفي أقل من ست ساعات وعلى وجه التحديد سعت 1930

(الساعة السابعة والنصف مساء) ، كانت القوات المصرية قد استولت على أكثر من نصف نقاط العدو الحصينة ، وعزلت الباقى منها ، وبدأت القوات المصرية المهاجمة التي عبرت قناة السويس في تصفيتها ، واستعدت هذه القوات لتطوير الهجوم في العمق ، في حين تسرب اليأس بعنف وقوة من نفوس القادة الإسرائيليين حتى أن "موشى ديان" وزير الدفاع الإسرائيلي اقترح إخلاء جميع القطاعات الحصينة في خط بارليف وأن يوقفوا معارك الدبابات وأن يقيموا خطاً جديدا بالقرب من الممرات على مسافة 30 كم شرقي القناة .

بطولات المدفعية المصرية في حرب أكتوبر 73 :

وقبل أن يبزغ فجر اليوم التالي كانت قواتنا المصرية قد وصلت إلى عمق 5 . 6 كم ، وعبرت بأعداد كبيرة من المدرعات والمدفعية والأسلحة الثقيلة ، ومع انقضاء يوم السابع من أكتوبر 73 كانت قواتنا قد طوَّرت هجومها شرقاً ووصلت إلى عمق 8 . 10 كم

وفي فجر اليوم الثامن من أكتوبر 73 أبلغ أحد مراكز ملاحظة المدفعية الذي تم دفعه في العمق ليلة 6 . 7 أكتوبر 73 عن وجود لواء مشاة ميكانيكي للعدو مدعما بعدد كبير من الدبابات ، وقد تعاملت معه عشرين كتيبة مدفعية بقصف نيراني استمر عشر دقائق واستطاعت مدفعيتنا أن تلحق بقوات العدو خسائر جسيمة في المعدات والأفراد ، وفي قطاع الفرقة 18 مشاة قامت مدفعية الجيش الثاني بحشد نيران عشرة كتائب مدفعية في مواجهة لواء مدرع حاول التقدم من "بالوظة" في اتجاه القنطرة لتوجيه ضربة مضادة للفرقة 18 مشاة المصرية ، وكان القصف المدفعي مؤثر وناجح ارتد على أثره اللواء المعادي مذعورا بعد أن حققت القوة المدفعية المهاجمة نسبة تدمير تزيد عن المعدل العالمي المعروف وهو 30 % ، مما يعكس براعة رجال المدفعية وقدرتهم على التعامل النيراني مع العدو .

وفي يوم التاسع من أكتوبر 73 ونيجة التعاون بين الفرقة الثانية مشاة واحتياطي المدفعية المضادة للدبابات بالجيش الثاني الميداني تم سحق اللواء 190 مدرع وأسر قائده "عساف ياجوري" ، حيث جاء في أقواله أن قواته تعرضت طوال تقدمها من "بالوظة" وحتى قيامها بالهجوم المضاد في قطاع "الفردان" لقصف مؤثر من المدفعية المصرية أدَّى إلى تدمير أكثر من 70 % من مشاته الميكانيكي

ولقد بلغت به الدهشة من دقة تصويب المدفعية على قواته مبلغاَ شديدا لدرجة جعلته يقول أن دقة النيران وتأثيرها الشديد لا يمكن أن يكون كذلك إلا إذا كان هناك ضابط مدفعية يصحح الضرب من فوق دبابته ، وبعد أن أتمت قوات النسق الأول للجيشين الثاني والثالث الميدانيين تنفيذ المهمة المباشرة لهما بنجاح وبدأا في تعزيز رؤوس الشواطئ المحددة لهما بدأتا في التعرض لهجمات مضادة متعددة من مدرعات العدو الإسرائيلية ركزها على أجناب رؤوس الكباري محاولاً تطويقها والوصول إلى المعابر مصري .

ولم يكن "عساف ياجوري" يتصور أن هناك ضباط من المدفعية المصرية قد دفعوا بالفعل في العمق بغرض تصحيح النيران على احتياطيات العدو المتقدمة وهو ما حققته المدفعية المصرية . لتدميره ومنع تدفق القوات المصرية إلى الشرق وعزلها عن أنساقها الثانية في الغرب ، وهنا جاء دور المدفعية لتواصل جهودها الجبارة لإنجاح ملحمة العبور حتى آخر مراحلها ، وكانت الفرقة 16 مشاة أكثر الفرق تعرضا لهجمات العدو حيث وجَّه العدو عدة لواءات مدرعة إلى موقعها الواحد تلو الآخر ، وقد تصدت لها المدفعية حيث حشدت عددا كبيرا من كتائب المدفعية بلغت في بعض الحالات 17 كتيبة لوقف هجمة مضادة واحدة للواء مدرع إسرائيلي وكان نتيجتها أن دُمِّر لهذا اللواء نحو 32 دبابة وارتد باقي اللواء مذعورا دون أن ينفذ هجمته المضادة ، وتلقفت الصواريخ المضادة للدبابات من تجرأ وواصل تقدمه منها ، فدمرت دباباته





عساف ياجوري ودبابته المحطمة

ورغم نجاح أربع دبابات منها في الوصول إلى تبة "الطالية" إلا أن رجال المشاة دمروها بقذائف آر . بي . جي ، وقد شهد القتال تعاوناَ وثيقاً بين المشاة والمدفعية وغيرها من الوحدات . ويصف أحد الجنود الإسرائيليين العاملين في هذا اللواء ما فعلته المدفعية المصرية بوحدته ، فيقول : " لقد تعرضنا لستار من نيران المدفعية لا يمكن وصفه ، فلقد انصبت من كل جانب الصواريخ ونيران الدبابات وقذائف المدفعية الثقيلة . وقد تمكنا من شق طريقٍ لنا ، ولكن المعركة استمرت عدة ساعات إذ وقعنا مرة ثانية تحت ستار من نيران المدفعية المصرية وقد اخترق كل شيءٍ حوله ، وكان عددٌ من الرجال يصرخون وغيرهم يقفزون من دباباتهم " .

ويصف صاحب كتاب "نظرة على حرب الشرق الأوسط". أحد الكتب الإسرائيلية التي وصفت المعركة. فيقول : " إن المصريين قد نجحوا في كسر الهجوم الإسرائيلي المضاد .

لقد أدركت القيادة الإسرائيلية أن الهجمات المضادة لا يمكن أن تعجل بتدمير وحدات التعزيز المصرية . وللمرة الأولى أخذت الدبابات الإسرائيلية تحارب وهي تنسحب ، كما تعطلت وللمرة الأولى هذه الدبابات في أرض العدو وفي داخلها قتلى وجرحى دون أن يستطيع أحد تخليصهم منها ، لقد أُسر وقُتل عددٌ كبير من أطقم الدبابات التي تم تدميرها " .

وأسهمت المدفعية المصرية مساهمة فعالة في معركة الدبابات الشهيرة ، فقد تحركت الدبابات المصرية في العمق وعلى المحاور في صباح يوم 14 أكتوبر 1973م لتصتدم بالدبابات الإسرائيلية بأعداد بلغت من كلا الجانبين نحو ثلاثة آلاف دبابة ، وتلا تحرك الدبابات المصرية قيام المدفعية المصرية بقصفة مكثفة شارك فيها أكثرمن 500 قطعة مدفعية لتأمين دفع المدرعات والدبابات المصرية







وأثناء تقدم الدبابات المصرية تغطي تقدمها وانسحابها ، وقصفت مدرعات العدو ودباباته قصفات شد ديدة مركزة دمرت كثيرا منها ، وبعد تقدم مدرعاتنا إلى قلب سيناء واصطدامها بمدرعات العدو في معركة الدبابات الشهيرة قررت القيادة المصرية سحب قواتها المدرعة إلى داخل رؤوس الكباري مرة أخرى

بسبب تطور أحداث القتال وتدفق الأسلحة الأمريكية المتطورة من خلال الجسر الجوي الذي ربط بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية ، كما تسربت بعض القوات الإسرائيلية غرب القناة عبر ثغرة "الدفرسوار" بين الجيشين الثاني والثالث الميدانيين .

ومرة أخرى حدث انسحاب الدبابات المصرية إلى داخل رؤوس الكباري بفضل تأمين المدفعية المصرية التي قامت بإسكات بطاريات الصواريخ ومدفعية العدو ، وقصف مدرعاته لمنعها من الضغط على قواتنا.

وكانت بعض القوات الإسرائيلية قد تسللت إلى غرب القناة عبر المنطقة المسماة بالدفرسوار وهي منطقة مفصلية تقع ما بين الجيشين الثاني والثالث ، وكان للمدفعية دور فعال في مواجهة القوات المتسللة فهي التي تمثل عين الجيش الساهرة وذراعه الطويلة ، فلم تكن تسمح بتنفيذ أي عملية عبور للعدو ؛ لذا قامت المدفعية المصرية بقصف مواقع قوات العدو المتسللة بعنف أكثر من مرة ، فقد صبت كمية هائلة من النيران على المثلث (الطاسة . البحيرات . الإسماعيلية) حتى لم يكن للقوة الإسرائيلية المتسللة أمل في النجاح في إنشاء أى معبر على القناة ،

ثم قررت القيادة العامة للقوات المسلحة أن تتولي أمر الثغرة ولا تكل أمرها إلى القادة المحليين فحشدت نيران المدفعية في منطقة التسلل ، وقد شهدت ليلة 16 . 17 أكتوبر 1973م قصفاً رهيبا لدرجة لم تشهدها أي معركة في الشرق الأوسط حتى في الصراع البريطاني الألماني في شمال إفريقيا .

ويصف مؤلف كتاب " يوم كبُّور " (عيد الغفران) الموقف في تلك الفترة قائلاً : " وبينما كنا نقوم بتركيز قواتنا على الشاطئ الغربي . القوة التي كان الجنرال "بيرن" يحاول العبور بها . تعرضنا لقصف مدفعي لم نشهد له مثيلاً في حياتنا ، فلقد وجَّه المصريون نحو الجسر قوة النيران التي كانت متاحة لهم في القطاع " .

ولقد بعث الضابط "آموس" برسالة إلى زوجته جاء فيها : " إذا كانت قد كُتبت لي النجاة في تلك الليلة (ليلة 18 / 10 / 1973م) فإن ما حدث كان معجزة ، ذلك أن القذائف المصرية لم تكف عن تدمير تجمعاتنا

ومواقعنا طوال الليل ، إنني لا أستطيع أن أفهم كيف نجوت مع بعض الجنود من هذا الجحيم "

. وفي يوم 22 أكتوبر 1973م تم توجيه مدفعية الجيش الثالث لمدة ثلاث ساعات ونصف نفذت خلالها خمس مهام نيرانية منها حشدتان نيرانيتان وثلاث مهام نيرانية بالضرب على قطاعات متفرقة فمنعت بذلك دبابات العدو من اقتحام مركز القيادة المتقدم للجيش الثالث غربي القناة والذي يبعد عن موقع هذه المدافع الموجودة شرق القناة بحوالي 20 كم .

واستطاعت المدفعية عند منطقة المثلث شمالي السويس تكبيد العدو خسائر فادحة بلغت ثماني دبابات ، ولاذت باقي الدبابات بالفرار بعد أن تشتَّت شمالاً وغرباً ، وقامت قواتنا بالاشتباك مع باقي الدبابات بالصواريخ المضادة للدبابات فطردتها من مكان تفر إليه بعد أن كبدتها خسائر فادحة ، كما استطاع الأفراد بقواذف (آر . بي . جي) من تدمير كثير من الدبابات ،

وظلت المدفعية المصرية تستنزف القوات الإسرائيلية المتسللة غرب القناة ففشلت قواته في احتلال مدينة الإسماعيلية وواجه قصفاتها المتتالية وهي في طريقها إلى السويس ليتعامل معا رجال المقاومة الشعبية فيدمروا مدرعاتهم ودباباتهم ، ويجهزوا على المتسللين من الأعداء داخل المدينة

لقد قامت المدفعية المصرية بجهود رائعة في حرب أكتوبر 73 وأجهضت محاولات العدو في التقدم أو مواجهة القوات المصرية والتصدي لها ، فلقد قُدِّرَ ما أصابَّته مدفعيتنا وحدها طوال فترات حرب أكتوبر من بدايتها إلى نهايتها ما يعادل في مجموع قوته التفجيرية قوة قنبلة نووية صغيرة وهي قوة تدميرية هائلة يمكنها أن تستأصل مدينة صغيرة .

انتصارات أكتوبر المجيدة :

وانتهت ملحمة أكتوبر 73 التي رفعت هامة مصر عالية وحفظت لمصر كرامتها ورفعتها ، حتى أدلى "إيجال آلون " بتصريح للتليفزيون الإسرائيلي في مساء يوم 26 أكتوبر 1973م قال فيه : " لقد انتهى ذلك العصر الذي كنا نبالغ فيه في ثقتنا بأنفسنا وانتهى أيضا موقف الاحتقار والصلف الذي كنا نتخذه حيال العرب ، لأن هذا العصر وذلك الموقف لم يعد هناك ما يبرر استمراره .. إن العرب أظهروا استبسالاً وشجاعةً وصمودا .. إنهم على أية حال قد أحرزوا انتصارا سياسيا لأنهم نجحوا في كسر جمود الموقف .. ومن ناحيتنا ينبغي أن نتعلم أن نحترم العرب " .

ويقول الرئيس المصري محمد أنور السادات وملؤه الفخر بأبنائه من رجال القوات المسلحة البواسل : " لقد قاتلنا ، وأمامنا قتال العدوان .. وإنما هو سلاح وقتال الحق والحرية " .

" لقد أثبت شعبنا على مرأى ومسمع من الدنيا كلها أن لديه بطولة وقوة احتمال الأيام الشاقة ، ومواجهة اللحظات المصيرية الحاسمة كأعلى ما تكون البطولة " . (من وثيقة أكتوبر) .

تكريم قائد المدفعية :

وكان تكريم الرئيس السادات لقائد المدفعية ذراع الجيش الطولى التي ألهبت ظهر الجيش الإسرائيلي وأدبته طوال حربي الاستنزاف وأكتوبر73 ، فرقاه إلى رتبة الفريق ومنحه وسام نجمة الشرف الذي يمنح للضباط الذين أدُّوا خدمات جليلة وأعمالاً استثنائية تدل على الشجاعة الفائقة في مواجهة العدو ، تقديرا له على جهده البارز الملموس في حرب أكتوبر 73 ، كما رقي كل من محمد عبد الحليم أبو غزالة ، ومنير شاش قائدي المدفعية بالجيشين الثاني والثالث إلى رتبة اللواء ومنحا وسام نجمة الشرف .

وكان اعتزاز الرئيس السادات بقائد مدفعيته محمد سعيد الماحي كبير حيث وصفه بالرجل الرهيب ، وأشاد بهدوئه ودقته وعزمه وتصميمه ، فاختاره ليشغل منصب كبير الياوران برئاسة الجمهورية ، ثم شغل منصبا أكثر أهمية وخطورة مما يعكس قيمة الرجل العسكرية والسياسية وهو منصب رئيس جهاز المخابرات العامة المصرية في الفترة ما بين سنتي 1978م ـ 1981م أي حتى وفاة الرئيس محمد أنور السادات ، ثم شغل بعدها منصب محافظ الإسكندرية وظل يشغل هذا المنصب إلى أن اعتزل الحياة السياسية .

وفـــــاته :

وبعد رحلة طويلة من العطاء والتضحية من أجل الوطن الذي أحبه وملك عليه حياته وعاش له وكان على أتم استعداد ليموت في سبيله في أي وقت ، وظل يعمل لبلاده كرجل حربٍ وسياسة إلى أن اعتزل الحياة السياسية ، وجاء الموعد المحتوم ليلبي نداء ربه فكانت منيته في 20 يونيو عام 2007م عن عمرٍ يناهز 85 عاما ، مرتاح الضمير قرير العين بعد أن أدَّى واجبه نحو وطنه على أكمل وجه ، وقاتل بشجاعة طوال فترات طويلة من الصراع العربي الإسرائيلي ، وأسهم مع رجال القوات المسلحة الأبطال في صنع ملحمة العبور والنصر الذي سيظل التاريخ يذكره بكل فخرٍ وإعزاز .



تواريخ هامة

- وِلدَ محمد سعيد الماحي في دمياط في 1 / 2 / 1922م .
- تخرج في الكلية الحربية في عام 1942م .
- تخرج في كلية أركان الحرب في عام 1951م .
- شارك في حرب يونيو 1967م .
- التحق بسلاح المدفعية وشارك في بنائه وشهد حرب الاستنزاف .
- تولى منصب قائد سلاح المدفعية قبيل حرب أكتوبر 1973م .
- خاض حرب أكتوبر 73 ونجح في توجيه ضربات قاتلة للعدو الإسرائيلي حتى تحقق النصر .
- رقي إلى رتبة الفريق ومنح وسام نجمة الشرف تقديرا لجهوه في حرب أكتوبر .

- شغل منصب كبير ياوران الرئيس السادات برئاسة الجمهورية .
- عين رئيسا للمخابرات العامة المصرية ما بين 1978 ـ 1981م .
- عين محافظًا للإسكندرية في عام 1981 م .
- توفي عام 2007م بعد أن اعتزل الحياة السياسية .

المراجع والمصادر

1. محمد عبد الحليم أبوغزالة . وانطلقت المدافع عند الظهر / محمد عبد الحليم أبوغزالة .. ط1 .. القاهرة : دار الشعب ، 1974م .

2. محمد حسين طنطاوي . بطولات حرب رمضان / محمد حسين طنطاوي .. ط1 .. القاهرة : دار الشعب ، 1974م .

3. حمدي الكنيسي . يوميات مذيع في جبهة القتال / حمدي الكنيسي .. ط1 .. القاهرة : دار الشعب ، 1974م .

4. محمد عبد المنعم . 6 أكتوبر الحرب الألكترونية الأولى / محمد عبد المنعم .. ط1 .. القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب ، 1998م .

مواقع على النت

http://www.fas.org– 1

http://www.egyptiantalks.org – 2

http://www.almoarekh.com–3

http://www.egyptiantalks.org–4

فهرس